الأهداف السياسية في مدى النيران

القادة العسكريون، والقرار السياسي

د. ضرغام الدباغ

المركز العربي الألماني
Deutsch Arabisches Zentrum

الأهداف السياسية في مدى النيران
القادة العسكريون، والقرار السياسي

د. ضرغام الدباغ

المركز العربي الألماني / برلين
الطبعة الأولى
رقم المطبوع (36)
يوزع مجاناً

الفهرس

أولاً : المقدمة

ثانياً : مقدمات قادت إلى تبلور سياسي

ثالثاً : القيادة السياسية تخطط للقيادة العسكرية

رابعاً : الفريق الأول هاينز غودريان .

خامساً : المشير فردريك باولوس,

سادساً : المشير أرفين روميل

المقدمة

نحن ندرس السياسة وندرس التاريخ بهدف أستخلاص العبر والنتائج، وليس من أجل استعراض كرونولوجي للأحداث، قد لا يضيف شيئاً لما حدث في الواقع. المؤرخ يدرس التاريخ لاستنباط العبرة، وليصيغ بالتالي قواعد وأفكار، ويحاول أن يلقي الضوء على ما فات زملاء له أن يتوصلوا له، وبعد كل ذلك، بعد يمتلك زمام المعرفة والتحليل، سيحاول أن يتنبأ، انطلاقا من فهمه العميق للقوانين المادية للتاريخ.

قرأنا كثيراً عن الحرب العالمية الثانية، وأحداثها السياسية / العسكرية، باللغتين الألمانية والعربية وقرأت أعمال مترجمة عن الإنكليزية وأعظمها على الإطلاق: سقوط الرايخ الثالث للكاتب الأمريكي ويليام شراير بأجزائه الأربعة. كما كتاب مؤلفه ضابط في الجيش الأمريكي، درس القادة والمخططين منهم والقادة الميدانيين.

لا يكاد يختلف أحداً أن القيادات العسكرية الألمانية تتمتع بخبرات وقدرات كبيرة، وأسلوب قيادة تكاد تتفرد به، وأن العلم العسكري الألماني (فن قيادة الجيوش وإدارة الحركات) أنتج قادة لامعين، لا تخبو الأضواء عن أسمائهم وإنجازاتهم، بيد أن الواقع يشير إلى أنهم تكبدوا خسارتين فادحتين (في الحرب العالمية الأولى والثانية) كلفتهم الكثير جداً من الأرواح والأموال والممتلكات، وإذا كانت خسارة الحرب العالمية الأولى يضعها القادة العسكريون على كاهل القيادات السياسية بشكل مطلق، ذلك أنهم لم يكون البناء السياسي للدولة (الملكي / الامبراطوري) مرصوص الكيان، ثابت وراسخ الأسس وهناك دائماً شرخ بين الجيش من جهة والسياسيون من جهة أخرى، ثم الشعب من جهة ثالثة، بيد أن الحرب العالمية الثانية، كانت لها ظروفها المختلفة، قادها نظام بالغ القوة، محكم البناء، ولكنه كان معادياً للحياة السياسية الداخلية التي خلت من أي طرف سياسي عدا الحزب الحاكم (الحزب الاشتراكي العمالي الألماني((Nationalsozialistische Deutsche Arbeiterpartei (NSDAP) ومختصر حروفه (Nazi)، الذي قاده الزعيم هتلر (Führer) (هذا لقبه الرسمي) في نظام ديكتاتوري ذابت فيه معظم مؤسسات الدولة الدستورية.

والقادة العسكريون وإن كانوا يمتلكون البصيرة الكافية ليشخصوا خطورة الموقف، ولكن هذه الشريحة من القادة، التي لها تكوينها السياسي / الاجتماعي عبر التاريخ وتقاليد تميزت بها، أيدت في البداية القيادة السياسية الجامحة، بوصفها قادرة على جمع شعث الشعب الألماني بقبضة حديدية وهذا ما اعتقدت أنه ضروري، للمضي في عملية سياسية / اقتصادية / عسكرية تهدف في ختامها، التخلص من الآثار المهلكة لاتفاقية فرساي / 1918، ولكن بعد أن أيقنوا أن الديكتاتورية مضت بعيداً، وغرقت في صراعات وجبهات، وحرب عالمية كان يمكن تجنبها، لكنهم حين أستوعبوا هذه الحقيقة، كانوا قد غلبوا على أمرهم، لهذا السبب أو ذاك، فاضحوا عاجزين عن التغير، فواصلوا العمل على أمل أن تلوح فرصة كريمة أو شبه كريمة للخروج من المأزق، لكنهم لقوا مصائرهم المحتومة، إن في تصفيات قام بها هتلر لمن أعتقد أنهم خصومه، أو بعد هزيمة بلادهم في الحرب، قتلاً وأغتيالاً وإعداماً وأستسلاماً بيد العدو، ثم حوكم بعضهم كمجرمي حرب وأدينوا ونفذت بهم أحكام الموت على أيدي الحلفاء

في محاكمات عسكرية (محاكمات نورمبرغ الدولية)، التي أعدمت نحو 198 شخصاً من القيادات العسكرية والسياسية.

هل كان الجيش الألماني (Wehrmacht) بعد أستلام النازي للسلطة (1933) جيشا محترفا، يعمل وفق قواعد الجندية الصارمة، وبموجب معطيات الدساتير العسكرية، أم أن هتلر حوله تدريجياً إلى جيش عقائدي ينفذ الأهداف السياسية للحزب النازي...؟

هذا الكتاب هو حصيلة لقراءات كثيرة، ومشاهدات لأفلام وثائقية، وزيارة لمواقع مهمة، ومن تلك أفكاره لعلماء التاريخ والسياسة، وللقيادات السياسية والعسكرية، ضمها هذا الكتاب وفي اعتقادي بأننا نفعل ربما ما لم يفعله الكثيرون، ونوصل للقراء والمكتبة العربي مادة مفيدة تغني الفكر العسكري العربي.

ضرغام الدباغ

برلين / 2017

ثانياً : مقدمات قادت إلى تبلور سياسي

انقلاب (قبو البيرة) (Beer Hall Putsch) قاده هتلر يوم 9 نوفمبر ـ تشرين الثاني 1923: حدث ذلك حين وجدت الجمهورية الألمانية الفتية نفسها في عام 1923 تغرق في الاضطرابات الداخلية والصراعات السياسة الخارجية جراء التضخم، فجدت نفسها غارقة في سلسة أزمات. ودائماً المزيد من الناس يتوقون إلى النخب القديمة في عهد القيصرية، ففي خضم هذه الأوضاع، خطط أدولف هتلر من أجل بتغير ... القيام بأنقلاب.

9 / نوفمبر ـ نشرين الثاني/ 1923 : الدولة الألمانية تمر في أزمة. فالاقتصاد الألماني في حالة أنهيار، والأمن الداخلي تهدده الأخطار بسبب الأنتفاضات، انتفاضات في ولاية سكسونيا، واحتلال منطقة الرور، مما ضاعف الموقف توتراً، وفوق ذلك كان الخوف من الفرنسيين الذين بسببهم فقدت ألمانيا الحرب العالمية الأولى، وفي هذا رأي هتلر أن يستغل الموقف، وفيها فرصته في القيام بأنقلاب في ميونيخ ينطلق من قبو للبيرة في قلب المدينة، ربما سيجد من خلالها طريقه لإقامة ديكتاتورية في برلين.

كان التضخم بمعدلات عالية جعل من النقود لا قيمة لها، لذلك أنهار الاقتصاد بشكل كامل تقريباً، وفي ولايات سكسونيا وتورنغن، تهدد محاولات الأنقلاب الشيوعية النظام الداخلي بحسب نموذج الأنتفاضات الروسية في عام 1917، وتوصلت قوى اليسار فيما ما يسمى " أكتوبر الألمانية " بقيادة الحزب الشيوعي الألماني واليسار الاشتراكي الديمقراطي، إلى حكومة العمال البروليتارية.

ومن جهة أخرى قامت فرنسا وبلجيكا بأحتلال منطقة الروهر الألمانية، وبذلك وجدت الامبراطورية الألمانية نفسها تحت طائلة ديون الحرب، إذ كان عليها أن تدفع تعويضات الحرب، وبناء على ذلك صار إلى أرتهان إنتاج ألمانيا من الفحم وفحم الكوك، لإيفاء الالتزامات الألمانية وكان هذا يمثل هبة وفرصة لا تفوت للقوى الانفصالية التي كانت تسعى للأنفصال بمساعدة فرنسا.

كانت الغالبية من مواطني الأمبراطورية الألمانية يشعرون بالخوف بسبب تفاقم الموقف، والخوف من الحرب الأهلية، ومن الانهيار شامل، والكل كان يبحث عن النظام، وعن الأمان. إلى الظروف السابقة، التي كان من خلالها يتحقق نظام دولة سيادي قوي، التي جسدها نظام الإمبراطورية، ومع وجود جيش قوي.

"خلية تنظيم بايرن": معقل النخب المحافظة

النخب القديمة للنظام الإمبراطوري كانت لا تزال موجودة وهناك من يمثلها. ممن يحتلون الوظائف المهمة على الأرجح، ، وفي أجهزة الشرطة، وكانت قواهم على الأغلب تتركز في ولاية بايرن (بافاريا). وكان من هؤلاء لمتعطش للسلطة، ذو الطبع الحاد، رئيس حزب العمال الوطني الاشتراكي الألماني (Nationalsozialistischen Deutschen Arbeiterpartei (NSDAP) أدولف هتلر. وكان هدفه إسقاط الحكومة من بايرن، وإقامة

نظام ديكتاتوري في الإمبراطورية الألمانية. وفي هذا أعتقد هتلر (وكان لما يزل يحمل الجنسية النمساوية) أن الظروف في ولاية بايرن مواتية أكثر من غيرها، إذا أن العلاقات تسوء بين بافاريا مع الحكومة الإمبراطورية، وكان الناس يرون في حكومة برلين الاشتراكية ما يهدد الاستقلال الذاتي في ولايتهم بايرن، أستقلال البريد، والسكك الحديدية، والجيش في ولاية بايرن الذي نالوها في زمن بسمارك، وجدوا أنها اليوم مهددة أو لاغية.

وبدا الطريق للمحافظين هو من خلال فسح المجال للتيارات اليمينية. وفي عام 1920 / 21 أنشأ رئيس الوزراء غوستاف فون كير، فوجاً بنظام صارم شديد تحت مسمى رمزي " خلية نظام بايرن " بعناوين العداء للأجانب ومعادة السامية، انضوى تحتها متطرفوا اليمين مثل الشخصية العسكرية المشهورة أيريش لودندورف، وفي الفترة اللاحقة لعام 1921 تمكن الحزب النازي بقيادة هتلر من تحقيق نجاحات ملحوظة في بايرن.

هل كان تخطيط هتلر للأنقلاب مبكراً ؟

كانت الأصوات تتعالى أن هتلر يخطط لانقلاب. وفي يوم 1 مايو، كان قد قام بالتعاون مع قادة ما يسمى " وحدات الوطن الأم " بتنظيم ما مجموعه ما مجموعه 25،000 رجل بالقيام بمسيرة مسلحة، ضد تجمعات الاشتراكيين.

وقد تجمع النازيون، بقيادة هيرمان غورنغ، وأتحاد الأوبرلاند، وكذلك ومنظمة " علم الامبراطورية " بقيادة الرائد أدولف هايس. وبالنسبة لهتلر كان هذا الاحتفال مؤثراً ومحبطاً بسبب للكمية الهائلة من الأعلام الحمر، وأن بلداً فيه هذا الكم كمن الأعلام الحمراء. كان يوم 1 / أيار الأحمر عام 1919، قد أثار في نفسه ... ورأى في ذلك الذكريات المؤلمة أنها تمزق الوطن " ولكن بعد أن عززت الحكومة من الحراسات ومن أعداد الشرطة، تخلى هتلر عن نواياه بالتصدي لتلك المظاهرات. وبعد ذلك بعام واحد، قرر هتلر في النهاية عام 1923 القيام بالانقلاب.

في 8 / نوفمبر ـ تشرين الثاني / 1923، تواجد هتلر في قبو البيرة ليقود أنطلاقاً من ذلك المكان التجمع مجتمعاً بدعوة من كبار المسؤولين، كار، لوزوف، زايسر، ورئيس الوزراء إيغون فون كنيلينغ، وبعض الوزراء، وكان هتلر يتقدم الجميع في المنطقة محاطاً بوحدات مسلحة، من المجاميع القتالية، وبينما كان فون كار يلقي خطاباً حول الماركسية، هجم هتلر على المنصة، باطلاق رصاصة في الهواء، أرغم على الهدوء وتمكن بواسطة قواته من أخذ الثاثي " فون كار، ولوزوف، زايسر" إلى غرفة جانبية، وتحت الضغط إرغامهم على الموافقة بتشكيل حكومة جديدة، كما أستدعي الفريق الأول لودندورف إلى الاجتماع، وأمر هتلر بأعتقال سائر الوزراء.

يجب على الحكومة الوطنية الجديدة أن تتشكل كما يلي:

ـ أدولف هتلر: يتولى القيادة السياسية.

ـ إيريك لودندورف: يتولى قيادة الجيش الوطني.

ـ أوتو فون لوزوف: وزير الدفاع.
ـــ هانز فون زايسر: وزير الشرطة.
غوستاف فون كار: محافظ النظام الملكي في بايرن.
أرنست بونر: رئيس وزراء بافاريا.

حمام دم في ساحة " فيلدهيرهالت ".

ومع ذلك، لم يكن للتحالف الذي تمت صياغته حديثاً، ليصمد طويلاً. إذ ألغى نفسه بنفسه في ذات الليلة بعد التصديق، إذ أعلن وزير الثقافة فرانز مات (Franz Matt)، أستمرار عمل وتواصل الحكومة، فيما يرى لوندندورف أن ما تزال هناك فرصة، وبمساعدة القوى اليمينية التي أبدت في الأيام الأخيرة الدعم لهتلر، قرر في 9 / تشرين الثاني ـ نوفمبر القيام بتظاهرة مسلحة عبر شوارع المدينة، الهدف هو مقر قيادة الجيش السابع في شارع لودفيغ، لأجل أحتلالها بواسطة الانقلابيين، وأستمالة الجيش إلى جانبهم، وأتخذ 2000 رجل طريقهم بقوة وعزم إلى ساحة أودين، وحينها حلت نهاية مفاجئة عندما وقف وزير الداخلية فرانز زافير شفاير في طريقهم. وعندما أطلق بعض أنصار هتلر النار، ردت عليهم الشرطة بإطلاق النار، وأنتهت المسيرة بحمام دم: 15 من "المنظمات النضالية" قتلوا، وكذلك أحد المدنيين، و4 من رجال الشرطة.

تمكن هتلر من الفرار إلى منطقة أوفينغ، وهناك تمكن من الاختفاء في فيلا سيدة من معارفه. ولكن ما لبث أن عثر عليه في 11 / تشرين الثاني ـ نوفمبر فأودع التوقيف.ثم أقتيد إلى سجن لاندسبيرغ في ليش، حيث بقي حتى 1924 كمعتقل، وفي 20 كانون الأول ـ ديسمبر أطلق سراحه بكفالة.

وكنتيجة لهذا الانقلاب، تم حضر نشاط الحزب النازي (NSDAP)، والمنظمة الجديدة التي تأسست اختير لها أسم "التنظيم الشعبي" شهدت في الانتخابات القادمة هزيمة منكرة، وحتى الحكومة الجديدة التي تشكلت برئاسة هاينريش هيلد، واجهت مشاكل مع هتلر، وبايرن بقياداتها الجديدة، كانت تريد أن تنأى بنفسها عن الانقلاب وتأثيراته، وهتلر وجد أن طريقة العمل بواسطة الانقلاب قد فشلت، والآن فهو يبحث عن الطرق الشرعية لبلوغ السلطة.

ثالثاً : القيادة السياسية تخطط للقيادة العسكرية

لم يكن أدولف هتلر ..... النمساوي معروفاً في وطنه (النمسا)، ولم يكن قد خلق سيرة مجيدة في بلاده أكثر من طالب في أكاديمية الفنون الجميلة / الرسم، وفي الحرب العالمية الثانية لم يكن أكثر من مجند في الجيش ، بلغ رتبة عريف، وكان يعمل في قسم رسائل الميدان، ولجرأته في إنقاذ جريح، نال وساماً الشجاعة، أكثر من ذلك لا شيئ ... ومع ذلك قاد هذا المغمور دولة من أعظم دول أوربا تأثيراً في السياسة والاقتصاد، وجيشاً عظيماً وريث الأمجاد والتقاليد البروسية العريقة جداً، وقادة وضباط أركان وتخطيط هم الأشهر بكفاءتهم ودقتهم بين أقرانهم في العالم، تمكن من السيطرة عليهم وكان يسيرهم وكأنهم لعب بين يديه ... لماذا وكيف ..... تمكن أدولف هتلر من ذلك .. هل أن الأمر بأسره يعود لضعف هؤلاء الرجال القادة، أم لعبقرية هتلر .. وذكاؤه وشخصيته الفذة ..!

كان أدولف هتلر عبقرياً ويمتلك كاريزما مؤثرة لا ريب في ذل، ونجح بتأسيس حزب صاغ برنامجه السياسي على أساس أن اتفاقية فرساي 1919 قد ظلمت الشعب الألماني، (في أعقاب الحرب العالمية الأولى)، ولذلك أبتداء هتلر خططه لبناء دولة قوية، وإعادة تأسيس جيش ألماني جديد يكون جيشاً عظيماً قادراً على تحقيق آمال الأمة، ولكن مشروعه أصطدم بمشكلتين، موضوعية وذاتية، بدا أن حلهما في غاية الصعوبة.

العقبة الموضوعية : تمثلت بالعقوبات الدولية التي فرضتها معاهدة فرساي على ألمانيا، وفي مفرداتها، حظرت المعاهدة على ألمانيا أن تكون جيشاً ذا قيمة وخطورة في أوربا، والحظر كان تفصيلياً. يحدد عدد أفراد الجيش البري، كماً بالأفراد والمعدات، والسلاح الجوي كماً ونوعاً، والسلاح البحري كماً ونوعاً كذلك. فيما يتعلق بالقيود العسكرية على ألمانيا، فقد نصت الاتفاقية على أشد الضوابط والقيود بخصوص الآلة العسكرية الألمانية لكي لا يتمكن الألمان من إشعال حرب ثانية كالحرب العالمية الأولى، فقد نصّت على تحديد الجيش الألماني وذلك بالإبقاء على 100،000 جندي فقط وإلغاء نظام التجنيد الإلزامي الذي كان يعمل به في ألمانيا وبمنع ألمانيا من إنشاء قوة جوية، والتقيد بـ 15،000 جندي في القوات البحرية، بالإضافة إلى عدد قليل من السفن الحربية بدون غواصات حربية، وبعدم إبقاء الجنود في الجيش لأكثر من 12 عاماً وحددت خدمة الضباط، في الجيش ب 25 عاماً لكي يصبح الجيش الألماني خالياً من الكفاءات العسكرية المدرّبة ذات الخبرة.

العقبة الذاتية : لبناء جيش قوي ومقتدر، أصطدم هتلر بالعقلية العسكرية التقليدية الألمانية التي لا تفهم أهمية بناء الجيش العقائدي، وبالتالي أراد هتلر أن لا يكرر تجربة ستالين عندما أبعد قادة الجيش الروسي من العسكريين المسلكيين الأكفاء، واستعان بضباط حزبيون عقائديون، فخسر الجيش أكفأ جنرالاته وقدراته القيادية، ولم يتمكن إلا وسط مجرى وأهوالها الحرب العالمية الثانية أن يخلق جيل من القادة الأكفاء، ولكن تلك كانت تجربة باهضة الثمن ..!

مالعمل ..؟

أدرك هتلر أنه سوف لن يتمكن من الاستغناء عن القادة الممتازين دفعة واحد، وإلا فسوف يكرر تجربة ستالين، ومن أجل الوصول إلى هدفه، أتيع حزمة من الأساليب بعضها براغماتي، وأخرى تفتقر إلى اللياقات. ومنذ البداية، كان عليه أن يصنع لنفسه مجداً سياسياً يطرحه في ساحة العمل السياسي، فأستعان بقائد عسكري تاريخي بطل المعارك التاريخية الحاسمة في الحرب العالمية الأولى في لياج (بلجيكا) وتاننبيرغ (روسيا)، هو الجنرال أريش فيلهام لودندورف. وقاد معه محاولة أنقلاب (قبو البيرة) غير متقنة الإعداد، وإذا كانت المحاولة قد فشلت ولم تبلغ هدفها، لكنها وضعت هتلر على أية حال كقائد جسور وشجاع، في مرتبة عالية بين الساسة المستسلمين والخائري القوى، فقد كان الشعب الألماني مؤمناً بضرورة وحتمية بروز قائد قوي بخرج الأمة من مأزق ومن تداعيات فرساي، ويوقفها على قدميها. والأتيان بالجنرال لودندورف كان له مغزاه وإشارته التي أراد منها القول أن جيشاً قوياً هو القادر على إحياء أمال الوطن.

وإذ أدرك هتلر بأنه سوف لن يتمكن من الاستغناء عن القادة العباقرة، لكن بشرط قبول قيادته المطلقة، هذا إن أراد أن يحقق أحلامه، لذلك أنتبه وهو الذكي الأريب إلى ضباط برتب صغيرة ومتوسطة (رائد ـ مقدم ـ عقيد) أذكياء أستطاعوا أن يجمعوا خبرات مهمة خلال الحرب، بل وأفكار تطور من قدرات الميكانيكية لا سيما في مجال الآليات (الدروع وعربات النقل) والطائرات، والأسلحة المتوسطة ولاسيما الرشاشات الخفيفة والمتوسطة والثقيلة، والمدفعية، أبدعت الصناعة الألمانية بصنعها وإمدادها للقوات المسلحة، فأصبح جيش المشاة ميكانيكي (آلي) سريع الحركة، وكثيف النيران، يتمتع بأسناد من سلاح طيران(مقاتلات ـ قاذفات ـ طيران نقل وإنزال) قوي، وهي بفضل أفكار ضباط شباب أستفادوا من خبرات الحرب وتجاربها، بأفكار وأبتكارات جديدة غيرت حتى من مستويات التخطيط التاكتيكي والاستراتيجي تبعاً لها، ومن تلك على سبيل المثال لا الحصر مصطلح (Blizkrieg) الحرب الصاعقة.

وكان أستراتيجيون ألمان أبرزهم البروفسور كارل هاوسهوفر(الضابط ثم الأستاذ في الجيوبولتيك)، قد عملوا على تطوير نظرية المجال الحيوي (Lebensraum) ومفادها أستراتيجية تحكم التوسع شرقاً، بأعتبار أن ألمانيا هي دولة صناعية، وقدرها هو أن تعيش على الصناعة ومواردها، ولكن ألمانيا كانت تفتقر إلى المواد الخام، وفي نهضتها الجبارة كانت تحتاج إلى الأيدي العاملة، وكلا العنصرين : المواد الخام ومنها الطاقة (النفط) والأيدي العاملة متوفرة بسهولة ورخص في الشرق (بلدان أوربا الشرقية)، وهذه بدورها أملت أستراتيجية الزحف شرقاً (Drangen nach Osten)، وهذه الأفكار وجدت من يستمع لها حتى من القادة الكبار، وإن كانوا يدركون العقبات الكبيرة التي تقف بوجه مشاريع طموحة كهذه.

حيال ذلك كله، قرر هتلر أن يعمل بسرعة، على كافة الأصعدة، وأبتدأ بتأسيس شبكة هائلة من طرق المواصلات السريعة (Auotobahn)، والتي كانت غير معروفة في العالم وأوربا، ونفذ خططه فور استلامه السلطة. وإعادة تأهيل الصناعات بحيث تنتج معدات

صناعية متقدمة، ومن جهة أخرى أبتدأ بتأسيس وحدات مختارة في الجيش، يضع فيها الضباط ممن لديهم أفكار عصرية وحديثة، في القطعات المدرعة والمدفعية، والمشاة، ولكنه رغم ذلك مع ذلك لم يتخلص هتلر من القادة التقليدين دفعة واحدة، بل أستمر يبدي لهم التقدير والأحترام، ويحتمل ملاحظاتهم وأنتقاداتهم، محافظاً على قوة الجيش وانضباطه وتقاليده العريقة، وبدونها سوف لن يبني جيشاً قوياً عقائدياً، ولكن دون التخلي عن تقاليده، بل أضاف عليها، وتدريجياً يحل القادة الجدد العباقرة محلهم، جيل من الضباط الشبان يجرحهم رؤية الوطن يغرق في الفوضى، ومنهم أسس القوة الهائلة التي كانت تكتسح الجبهات بسرعة وقوة، تذهل الأعداء وبينما هم يفكرون مالعمل... يكون قد أكتسحهم وصاروا خلفه .

وهكذا أستطاع أن يلجم قوة شكيمة جنرالات ك : الجنرال (المشير لاحقاً) فيلهام كايتل، والجنرال الفريد يودل، أستكانوا لقوة جموح هتلر، وأطاعوه حتى النهاية، وتخلص تدريجياً من جنرالات قادة أركان تقليدين يتمتعون بالقوة والنفوذ داخل القوات المسلحة ك : الجنرال فيرنر فون بلومبيرغ، والجنرال فيرنر فون فريتش، من خلال تبريرات أو تلفيق دعايات لإسقاطهم وإخراجهم من الجيش، وآخرون تركوا الخدمة واحداً بعد الآخر، ك : الجنرال لودفيغ بيك، والمشير فالتر فون براوختش:

ومن هذا الجيل الجديد برزت أسماء عملت في جبهات القتال ونجحت حين توفرت لها أسباب النجاح وأخفقت حين حجبت عنها الامكانات، ونريد هنا نركز على ثلاثة من أبرز هؤلاء الضباط القادة، ومن ذلك التركيز على جوانب صلاتهم بهتلر، وسلوكهم الذي أثر على نتائج معاركهم ومن أبرز هؤلاء : الفريق أول هاينز غودريان، والمشير فردريك باولوس والمشير أرفين روميل.

لم تكن أختيارات هتلر عشوائية، بل هو كان يريد من القادة الجدد : الكفاءة والألمعية، والأخلاص لخططه، ويستحسن أن لا يكونوا من أبناء عائلات أرستقراطية ممن يحملون لقب (فون) النبيل، ويرجح أن يكون هذا دافعاً لأبناء البورجوازية الصغيرة، أن يكونوا سجلاً مشرفاً لهم، فيدفعهم للتفاني. فنلاحظ ما يلي :

الملاحظة الأولى : ويلاحظ أن هؤلاء القادة الثلاث مع أختلاف مصائرهم فيما بعد، لم يكونوا من الحزبيين، بل عرفوا كضباط محترفين، ولكنهم وجدوا التشجيع لأفكارهم لدى قيادة هتلر الجديدة.

الملاحظة الثانية : أن هؤلاء الضباط الثلاثة لم يكن أي منهم من أسر نبيلة (فون) بل هم أبناء طبقة متوسطة (بورجوازية صغيرة)، ومن أول صفاتهم هو السعي بكل قوة لصنع أمجاد شخصية والبروز المدعم بذكاء وقابليات، أدرك هتلر هذه الناحية (وهو شخصياً من هذه الفئة) ودعمها معتقداً ... ولم لا ..! فليعمل الأكفاء من أجل ألمانيا وليستفيدوا وليصبحوا نبلاء في عهود المجد الألمانية المنتصرة ..!

ولكن هذا الإيقاع السريع ونجاحاته لم يحجب رؤية فيه العديد من الجنرالات الحكماء الذي رأوا في هذه المسيرة نهاية دموية، وإن الميل للصدام سيجلب معه نتائجه الوخيمة، وقد شعر بذلك الكثير من القادة اللامعين، حتى من بينهم من واصل العمل مع هتلر للنهاية، أو قادتهم أعتراضاتهم إلى الأستقالة، أو الإقالة، أو الطرد، أو الإعدام، أو الأمر بالانتحار تجنباً لعقوبة الإعدام، ومنهم أيضاً الجنرال لودندورف الشهير الذي أيد هتلر في مطلع مسيرته، في الانقلاب الفاشل، ولم يتورع أن يكتب لزميله الجنرال هندنبيرغ، الذي كان مستشاراً، وسلم المستشارية (رئاسة الوزراء) إلى هتلر بعد فوزه بالانتخابات البرلمانية ومحذراً أياه بكلمات تاريخية :

"بتعيينك لهتلر كمستشار لألمانيا سلمت أرض الأجداد الألمانية المقدسة لواحد من أكثر الرجال خطورة عبر الأزمنة، اني أتنبأ لك بان هذا الرجل الشرير سوف يغرق امبراطوريتنا (الرايخ) في جهنم ويصيب امتنا ببلاء لا حد له، أجيال المستقبل سوف تلعنك في قبرك لهذه الخطوة " .

القادة الذين عارضوا هتلر منذ بداية صعوده، بعضهم لقى الموت كالجنرال بيك، والمريشال كايتل الذي سايره على مضض (أو لأي سبب آخر) أضطر لأن يوقع أستسلام بلاده أمام الروس ولم ينقذه ذلك من الإعدام على يد المنتصرين الأربعة عقب محاكمات نورنبرغ، وكذلك كان مصير الجنرال يودل الذي أستسلم للحلفاء الغربيين وأعدم.

أما القادة الثلاث الذين يستعرض البحث حياتهم:

1. الفريق الأول هاينز غودريان : الذي كان موقفه يتراوح بين المعارضة لهتلر، وطاعته، لم يصبه أي أذى بوصفه كان ضابطاً محارباً شريفاً، عاش حتى عام 1954 وتوفي عن 66 عاماً، ولكن دون أمجاد.
2. المشير فردريك باولوس : كان من بين عباقرة هتلر الذين نشأوا على طاعته، تعود أن يعيش برفاهية في دوائر الأركان، وفي تجربة زجه بقيادة الجيش السادس في ستالينغراد، أخفق، وربما ليس لنقص في كفاءته، بل لنقص في الموارد، ورفض هتلر الأنصات إلى صعوبة وضعه، أنتهى الأمر به أسيراً، أطلق سراحه بعد الحرب وعاش بطمأنينة حتى توفي عام 1957 عن 67 عاماً.
3. المشير أرفين روميل : وهو أيضاً من عباقرة الحرب ومن أفضل القادة الميدانيين، هناك من يعتقد من المؤرخين الألمان أن ساير هتلر بما يكفي حتى بلغ أعلى المراتب، وكان يتخذ موقفه " أعملوا فإن حققتم شيئاً فأنا معكم " وأعتبر موقفه هذا غير كاف للجماعة التي قررت الانقلاب على هتلر، كما أعتبره هتلر خيانة له، ولكن حفظ له الود والتاريخ، ولم يكن يريد أن يسيئ بقسوة للقيادات الألمانية التاريخية، فخيره بين الأنتحار والاحتفاظ بالأوسمة والحق في جنازة عسكرية رسمية (1944) وبين المحاكمة، وتبعات الإدانة، ففضل الأنتحار عن عمر 53 عاماً.

الجديد في هذا الكتاب، إن الباحث وبعد الاطلاع على كم كبير من المصادر بلغات مختلفة، ومشاهدة واسعة لأفلام وثائقية عن حياة القادة الألمان، وهتلر والحرب العالمية الثانية، توفرت لدينا قدرة على الأطلاع على الحياة الخلفية التي لم يطلع عليها الكثيرون، وهي الجانب الأعمق من سيرة قادة الحرب، وتلق الأضواء على جوهر سير الأحداث.

إن خلاصة الرؤية في المفردات الداخلية للقيادات الألمانية، نجد أن هناك محاولات لسنا بصدد تقيم درجة إخلاصها للشعب الألماني، ولكن هذه الأحداث نسجت تاريخاً دامياً، في كثير من الأحيان، بل قل غالباً ليس المهم أن تعرف أين الصواب، بل كيف تتصرف حيال الصواب، كيف تعرف أن تتقدم نحوه وتحصل عليه.

العديد من القادة الألمان دفعتهم وطنيتهم وحبهم لشعبهم أن يوافقوا على جنون هتلر، بل أن بعضهم عبر عن رأيه بصراحة أكثر وقال أن القضية الألمانية بحاجة لمجنون أن يقودها، مجنون يعرف كيف يستغل ضعف الآخرين، ويعرف نقاط ضعفهم، ويهاجم فيما يفكر الآخرون بالهرب، أو تبرير الانسحاب، عرف كيف يستغل رجاله، وحبهم للمجد، ولأن يكونوا قادة عظام لجيش عظيم النصر في متناول يده، وهم على وشك أن يدخلوا التاريخ كمارشالات حرب وقادة جيوش ..

الخطأ الاستراتيجي الأول : ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه، فقد يصطدم جنون المجد لدى قوي، ما يدفع ضعيفاً ليتعملق ويتشبث بنفسه وبإرادة جنونية يقرر الصمود، فعندما أحتل هتلر فرنسا، وحلت كارثة الانسحاب العشوائية، أخطأ هتلر فترك الفرصة لبقايا الجيش الإنكليزي بالانسحاب، بل سمح لهم بذلك، وكان البر البريطاني ضعيفاً لدرجة غريبة، إذ لم تكن هناك سوى 8 دبابات بريطانية على البر البريطاني، ولو واصل هتلر عبوره فوراً إلى بريطانيا لكان حقق نصراً شاملاً، ولكنه تردد في اللحظة الأخيرة، والتردد قاده لأن يعتقد أن بريطانيا ستستسلم، وإن مواصلة مناكفتهم وعدائهم سيصلب مواقفهم، لذلك رأى، وبالفداحة ما رأى، أن ينتظر بضعة شهور تتفاعل فيها الأراء في بريطانيا وستسقط التفاحة في حضنه دون أضطراره لتسلق الشجرة. فقد كان هناك مجنوناً آخر(تشرشل) يصر على عدم الاستسلام وعلى إحراز النصر.

الخطأ الاستراتيجي الثاني : هذه كانت غلطة القائد العبقري، غلطة ربما فرخت غلطة أخرى، تمثلت في مهاجمته الاتحاد السوفيتي، فقد ظن أن الاتحاد السوفيتي يعاني الضعف بسبب التحولات العميقة جداً في الجيش والاقتصاد والسياسة والمجتمع بأسره، وتعامل مع الموقف بمعطيات التقارير، لا بالحقائق التاريخية، أن الروس شعب قديم، وفي حالة شعوره بالخطر على كيانه، سينهض بصرف النظر من يكون قائده، ستالين، أو قيصر من آل رومانوف، وهذه غلطة أستراتيجية ثانية قاصمة.

الخطأ الاستراتيجي الثالث : هي خطأ استراتيجي وإن بحجم أقل، تمثلت في عدم اقتناعه بأهمية البحر الأبيض المتوسط، وساحة شمال أفريقيا، واستطراداً ساحة الشرق الأوسط، وهتلر الذي كان حبيساً ومأخوذاً فكرة المجال الحيوي، والتوسع نحو الشرق (كما أسلفنا) مع

أن المزايا الاستراتيجية لهذه الصفحة مهمة سياسياً وعسكرياً، واقتصادياً، فظلت فكرة الفيلق الأفريقي الذي قاده روميل عنده لا يتجاوز مجاملة لحليفه موسوليني وطموحاته الصغيرة، ولم يستوعب فكرة وأهمية بلوغ قناة السويس، وتحقيق نفوذ شرقي القناة وصولاً إلى سوريا الكبرى التي كان فيها نفوذ الحلفاء مهزوزاً لدرجة بعيدة، ففي العراق كانت هناك ثورة معادية للإنكليز، وسوريا ولبنان في قبضة قوات فرنسا الحرة (حكومة فيشي) ولم يكن سوى وجود رقيق للإنكليز في فلسطين وسط عداء السكان.

وفي مصر لم يكن الحال بأفضل من ذلك، فالوجود الإنكليزي لم يكن بذاك المستوى، وهناك كراهية لهم من الشعب، بل كان الألمان على صلة وعلاقة بقيادات شعبية وعسكرية مصرية (الفريق عزيز المصري) وعلى تنسيق معهم، ولكن المعارك التي حققت نجاحات لا يستهان بها، لم تتمكن من مواصلتها بسبب ضعف إمداد هتلر للقوات في شمال أفريقيا، لأن جزيرة مالطة مثلت عقبة خطيرة جوية وبحرية، للمواصلات البحرية والجوية في البحر المتوسط، وبدلً من أن يهتم هتلر بهذه العقبة المؤذية، بعث قواته لتحقق إنزالاً عسكرياً رائعاً من الجو في جزيرة كريت، ولكن ذات الأهمية الاستراتيجية الأقل. وكان الخطأ الاستراتيجي بعدم تقييم أهمية جبهة شمال أفريقيا والشرق الأوسط بتقديرنا الخطأ الاستراتيجي الفادح الثالث.

أما في المجال العملياتي، فثمة أخطاء تاكتيكية يرتقي بعضها إلى الخطأ الاستراتيجي وذلك بإصرار هتلر (دونما تميز) على رفض نصائح القادة الميدانيين أو الخطط في الأركان العامة، بتنفيذ أنسحابات جزئية الغاية منها تقوية الموقف الدفاعي لهذه الجبهة أو تلك، والاستفادة من العوامل الجغرافية والطبيعية، وهذه الاخطاء العملياتية وقف فيها كافة الجنرالات الميدانيين منهم وفي الاركان العامة، مؤيديه وخصومه، ضد قراراته هذه، وحاولوا إزاحته بأنقلاب يمهد له بأغتياله (حزيران / 1944) إلا أن تلك المحاولة لاقت الفشل ونكل بمن قام بها.

هتلر نفسه كان إنساناً، بل ومرهف الحس، وإن كان عبقرياً إلا أن هذا لا ينجيه من الوقوع في براثن الخطأ القاتل. فهتلر كوطني لديه طموح لإزالة عقبات مؤتمر فرساي في أعقاب الحرب العالمية الأولى، كان يملأ فكرة وأعتقاده، أن السياسيون هم من قادوا ألمانيا وحولوا أنتصاراً كان بأيديهم إلى هزيمة، وأن الجيش الألماني قاتل ببسالة، ولكن السياسيون هم من أفسد انتصارهم، لذلك كانت هذه الفكرة تملأ خياله ومخيلته، ولم يكن ليقبل إي فكرة لأنسحاب يحقق الجيش على الأرض، بتضحيات، ثم يتراجع عنه.

لماذا أرتكب هتلر خطأ الحرب مع الاتحاد السوفيتي

أتابع منذ زمن بعيد كل ما يتعلق بأحداث ومفردات الحرب العالمية الثانية، وفيما بعد حين قيض لي أن أعيش في ألمانيا سنوات طويلة من شبابي وكهولتي وشيخوختي، وشاهدت الكثير جداً من الأفلام الوثائقية، وقرأت أكثر باللغة الألمانية، حتى بوسعي أن أزعم، أني أحطت بكل ما يدور بالحرب العالمية الثانية، وتركيزاً على ألمانيا.

ولكني لأني درست التاريخ علماً (أحمل شهادة مؤرخ مجاز) أعلم أن الاحداث الكبيرة في التاريخ أعمق مما يمكن الإحاطة بها، لذلك ففي أوربا هناك متخصصون في كل صفحة وفي كل من المتفرعات والأخبار. ومؤخراً قرأت أخبارا مثيرة حقاً، تحمل على التفكير العميق ... فالقائد هتلر لم يكن غبياً بل كان ذكياً وموهوباً، وقد قرأت أن علماء أمريكيون بعد الحرب أجروا أختبارات الذكاء على القادة الألمان بعد أعتقالهم، وأجروا الاختبارات وتسمى علمياً (أختبارات سبيرمان من 150 درجة) (العالم الامريكي تشارلس سبيرمان ـ Spearman) حتى على هتلر، وكان مستوى الذكاء مرتفعاً للغاية. ولكني من خلال قراءاتي لأحداث الحرب وتفاصيلها كنت ألاحظ أن هتلر أرتكب أخطاء قاتلة .. ترى لماذا أرتكبها وهو الذكي الأريب ..؟ أم ترى أن نشوة الأنتصارات الرائعة التي أحرزها في البداية سهلت له الأنزلاق إلى مواقف لم يكن له أن ينزلق إليها .. ولا سيما أرتكابه الخطيئة الأكبر بمهاجمة الاتحاد السوفيتي .. فلماذا أرتكب تلك الخطيئة الكبيرة ...!

أبتداء نؤكد أن هتلر كان يعبر عن السخط الشعبي الألماني على مقررات مؤتمر فرساي بعد الحرب العالمية الأولى هو تعبير وطني صادق، ومخلص. فالمقررات كان يصعب أحتمالها وترتب التزامات على ألمانيا تكبلها وتعيق سبل تطورها وحتى وحدتها الوطنية، فالوقوف بوجه فرساي كان أمراً حتمياً، وهو ما أوصله للسلطة بالانتخابات النزيهة. ولكن السؤال الأهم كان يتمثل : كيف وماذا ينبغي أن تفعل ألمانيا للخلاص من التزامات مؤتمر فرساي ..؟

كان أمام هتلر العقبات التالية لإزالتها وأستعادة ألمانيا مكانتها كدولة عظمى :

- استعادة مناطق الروهر التي استولت عليها فرنسا، وهي القلب الصناعي لألمانيا.
- استعادة السوديت الألمانية من جيكوسلوفاكيا.
- إعادة تسليح ألمانيا وهو ما يخالف قرارات فرساي.
- معالجة تبعات تشكيل الدولة البولونية على أراض اقتطعت من ألمانيا، ومن الاتحاد السوفيتي، وبذلك تقطعت أوصال ألمانيا في الشرق في مناطق منقطعة مثل بروسيا الشرقية ومدينة / ميناء دانزنغ.

ـ حين أستعاد بالقوة منطقة الروهر، كان الفرنسيون والإنكليز يدركون صعوبة أن تقوم أمة ألمانية صناعية بدون منطقة الروهر، لذلك سكتوا عنها وقبلوا هذا الأختراق الأول.
ـ حين أتم عملية الإينشلوس (Anschluss) الوحدة مع النمسا، أستطاع تمريرها لأنه لاحظ أن الأوربيين في مرحلة من الهشاشة لن يقفوا بوجهه.
ـ حين أقتحم بالقوة المسلحة منطقة السوديت، بل كل أراضي الجيك، حين قبلت حكومة براغ الإنذار الألماني، وصمت لندن وباريس ثم إخراجه عبر مؤتمر ميونيخ / 1939 إذ أعتبر المؤتمر أن هذه هي آخر طلبات ألمانيا في القارة.
ـ أبدت بولونيا التصميم والعزم على مقاومة ونوايا واطماع هتلر، وجدت في فرنسا وبريطانيا الحامية لاستقلال وكيان بولونيا، وأعتقد هتلر أنه أن فرنسا وبريطانيا سوف لن تخوضا الحرب من أجل ممر يفضي إلى مقاطعة دانزنغ وبروسيا الشرقية.

ـ تمادى هتلر أكثر حين لم يواجه بإجراءات أو تصرف جاد من بريطانيا وفرنسا، وتراخي فرنسي أعتقاداً أنهم في أمان خلف الخطوط الدفاعية ماجينو المحكمة، ولكن الجيش الألماني الذي كان قد أستوعب نظريات وتاكتيكات الحرب الآلية / المدرعة ، تمكن من اجتياح دول البينولوكس (هولندة وبلجيكا ولوكسمبورغ) متفاديا العقد الدفاعية، وفي غضون أيام قليلة تمكن من الوصول إلى باريس، وكاد أن يغلق طرق الانسحاب (ميناء دنكرك).

أعتقد هتلر أنه قام بصدمة خارقة (كانت فعلا صدمة كبيرة) وبذلك سيرغم بريطانيا وفرنسا بالإذعان لسياسته، في رسم خطط أن تكون ألمانيا قوة عظمى في أوربا والعالم. **لذلك أرتكب خطأه الأول : حين سمح للقوات البريطانية والفرنسية بالأنسحاب من دنكرك، معتقداً أنه لا يريد إنزال هزيمة مذلة بالإنكليزي تصعب عليهم طريق الحوار والتفاوض.**

ترك هتلر الإنكليز طويلاً ليفكروا (أطول مما يجب)، وتلك كانت غلطته الثانية، وحين تأكد يقيناً بأن الإنكليز جاءوا بتشرشل العنيد الشرس ليقف بوجه هتلر، بدأ بحرب بريطانيا بالطائرات، واجهها الإنكليز بكفاءة، وتحملوا بصبر آثارها، حتى بلغوا مرحلة من الاقتدار ليس بمواجهة الهجمات، بل والرد عليها، ونقل آثارها (الاقتصادية والاجتماعية) إلى ألمانيا، كما نجح الساسة البريطانيون على حمل الأمريكان على دخول المعترك الأوربي، الذين أعتقدوا أنهم بإنها الكساد الاقتصادي الكبير، سيخرجون بوصفهم الرابح الأوحد من الحرب..

بدخول الولايات المتحدة الحرب، وهي لديها قدرات صناعية هائلة، بدأت بريطانيا تتعافى من تأثير الضربات الألمانية، وأنتقلت من مرحلة الدفاع السلبي، إلى الدفاع النشيط، ثم إلى شن الهجمات الجوية، والبحرية وحتى البرية (في ميدان شمال أفريقيا)، لدرجة أنها أخرجتها من شمال أفريقيا كلها.

وهتلر كسياسي ذكي يعلم أن المكوث في الخنادق، هي الخطوة الأولى لجمود الموقف العسكري(وهي من دروس الحرب العالمية الأولى)، وحين لا تتغير المعطيات على الأرض، ينتج الجمود السياسي، ويبدأ العطب يتسلل إلى الحرب ويشع بنتائجه. والألمان حين خسروا الحرب العالمية الأولى، خسروها وجيوشهم تحتل أراض في فرنسا وغيرها، ولم يكن جندي أجنبي واحد على أراضيهم ..

أعتقد الزعيم هتلر ... ويدعم اعتقاده تصور (ربما أيده بعض من مستشاريه الفلاسفة)، أن التناقض / العداء بين الأنظمة الرأسمالية / الديمقراطيات الغربية والنظام الاشتراكي / الشيوعي هو صراع تناقضي تناحري، يعلو على سواه من التناقضات. وقد يبدو هذا التصور صحيحاً من الوهلة الأولى، ولكن بريطانيا تعتمد في صياغة نظريتها للأمن القومي أن تكون القوة العسكرية والاقتصادية الأولى في أوربا، لذلك مثلت الخطط الألمانية مؤشرات الخطر لبريطانيا لأكثر من سبب:

- إن التوسع حتى في القارة الأوربية ولا سيما في البلقان التي لم تخلو من اهتمامات الاستراتيجيين الإنكليز سيعرض نفوذ وهيبة بريطانيا لتدهور.
- إن التوسع السياسي على الأرض يرافقه الإنتاج الصناعي النشيط والمشهور بجودته وغزارته، لا بد أن يرافقه بوسع تجاري واقتصادي عام وسيكون ذلك على حساب التجارة البريطانية.
- إن سياسة التوسع الألمانية والتي كانت تجري تحت شعار " المجال الحيوي " تثير في بريطانيا ذات المخاوف التي كانت في سبيلها إلى التحقق قبيل وأثناء الحرب العالمية الأولى تحت شعار " الزحف نحو الشرق " Drangen nach Osten التي كانت ألمانيا تعتمد فيها على حليفتها الإمبراطورية العثمانية في التوغل شرقاً حتى الخليج العربي وطرد النفوذ البريطاني من تلك الأرجاء التي كان بدء اكتشاف واستخراج النفط يبشر بمكانتها الاستراتيجية.

ومن المعروف أن تركيا كانت قد أعلنت الحياد في الحرب العالمية الثانية، وإن كانت تتعاطف مع ألمانيا ليس فقط للأسباب التاريخية المعروفة، بل وتطميناً لمخاوف أمنها القومي، وذلك من احتمالات تفوق سوفيتي (بنتائج الحرب)، وهو ما حصل حقاً فيما بعد، وتجديد السوفيت لمطالبهم القديمة بمقاطعتي قارص واردهان التركيتين، بالإضافة إلى مخاوف من فرض عناصر جديدة (شروط) على المضائق، البسفور والدردنيل، تقلص من حدود السيادة التركية عليهما، وكان أي انتصار ألماني جديد بعد عام 1943 سيدفع بتركيا إلى المحور، الأمر الذي سيفتح أبواب الشرق الأوسط على مصراعيه أمام قوى التوسع الألماني، وكان الشرق الأوسط حتى ذلك الوقت ملعباً للفعاليات البريطانية تهيمن على معظم أقطاره وتستحوذ على ثرواته الطبيعية وفي مقدمتها النفط.

- كان لتحالف ألمانيا مع إيطاليا ذات الأطماع الاستعمارية في القارة الأفريقية، وليس في ليبيا فقط، بل التوسع شرقاً لبلوغ مصر والسودان، ومن الاتصال بالوجود الإيطالي في منطقة القرن الأفريقي، فذلك كان يعني السيطرة على قناة السويس التي تمثل عصب الملاحة التجارية والحربية لبريطانيا إلى مستعمراتها في القارة الأفريقية وإلى شبه القارة الهندية وإلى الملايو في آسيا، وتشكيل كماشة وحصار الوجود البريطاني الذي سيغدو ضعيفاً (نسبياً) في المشرق العربي، ثم غدا أكثر ضعفاً (لاحقاً) بعد انظمام الوجود الفرنسي في المشرق العربي(سوريا /لبنان) إلى حكومة فيشي الفرنسية الموالية للألمان، وكذلك الوجود الفرنسي في المغرب العربي (تونس، المغرب، الجزائر) بالإضافة إلى نشاط فعاليات حركة التحرر الوطنية والقومية النشيطة في مصر والعراق وفلسطين الهادفة إلى طرد الوجود البريطاني، وقد ثبت لاحقاً أن لهذه المخاوف ما يبررها، إذ كاد الفيلق الألماني وقوات المحور بقيادة الماريشال رومل أن يحقق هذه الاستراتيجية وكاد يبلغ قناة السويس.
- بالإضافة إلى المخاوف البريطانية في القارة الأوربية وأفريقيا أنفة الذكر، فإن احتمالاً ينذر بالخطر يتمثل بالقوة اليابانية في آسيا التي لم تكن تخفي أطماعها بالوصول إلى مستعمرتين رئيسيتين لبريطانيا تمثلان المستودع البشري والاقتصادي لها، وهما أستراليا والهند، وكان للتحالف الألماني الإيطالي الياباني ما يمنح هذه المخاوف أبعاداً جدية.

مثلت هذه المعطيات بالإضافة إلى عناصر ثانوية تتمثل بمصداقية التحالفات البريطانية في أوربا، تحالفها مع فرنسا، ضمان وجود واستقلال بولونيا، مثلت عناصر موقف استراتيجي ينذر باحتمال خرق خطير لأمن الإمبراطورية لابد من استباقه، ووضع حد لتدهور الموقف ولإيقاف عجلة الأحداث التي تدور في غير صالحها. فيما أعتقد الزعيم الألماني، أن الغرب الرأسمالي أمام الخطر الاشتراكي / الشيوعي (الروسي) سيعتبر أي خطر سواه معقول ومقبول.

هتلر يعلم بدقة تامة أن روسيا تنور حربي من الطراز الأول، تضم كافة خواص ومزايا المحرقة من :

- مساحات شاسعة بلا أفق,
- شعب بأعداد سكانية كبيرة.
- بلاد وشعب يتحد أثناء المحن، ذا قدرة على احتمال شظف الحياة ونكباتها. ومقاومة الغزاة.
- الطبيعة الخاصة المتمثلة بالصحاري الجليدية شتاء، تتحول إلى بحار من الوحول صيفاً، وكثرة الأنهار والمستنقعات والغابات.
- **قرأ هتلر القيادة القوية السوفيتية القوية خطأ، فأعتقد أن الشعب سيهب ضد النظام الشيوعي.**

هكذا كانت التصورات والحسابات الدفترية ... ولكن كيف جرت في الواقع ...

ـ ترومان عبر عن جوهر الموقف الأمريكي بقوله " إذا قتل الألمان الروس فهذا جيد... وإذا قتل الروس النازيين فهذا جيد أيضاً ".
ـ ستالين قال بما معناه " هذه الحرب بين إمبرياليين قدامى (فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة)، وبين إمبرياليين جد (ألمانيا وإيطاليا واليابان)،لتقسيم العالم، لا تستحق أن نسفك دماء جندي سوفيتي واحد من أجلها ".

ـ هتلر المشبع ذهنه بأفكار عنصرية فلم يكن ليرغب بإنزال هزيمة تامة بالعنصر الأنكلوسكسون وهو ما يجمعه بالإنكليز، فتوقع أن أميركا سوف لن تجازف وترسل أبناءها للحرب في أوربا لترتاح بريطانيا وفرنسا، فالأمر ليس كارثة أن تنتصر ألمانيا (للاعتبارات العنصرية والدينية / الطائفية)، فتوقع أن تعمد بريطانيا إلى طلب الهدنة والصلح وإنهاء القتال مع ألمانيا، وهنا سيحسم هتلر أمر كونه قوة

عظمى، ومن سادة أوربا. ولكن هذا الاحتمال أصبح بعيد المنال حين تولى تشرشل قيادة بريطانيا وفرنسا الحرة (بزعامة الجنرال ديغول).

ولما كان احتمال غزو الجزيرة البريطانية بعيد الاحتمال، كما أن الحرب على بريطانيا جوا وبحراً، لم تؤدي إلى نتائج مهمة، أدرك هتلر هذه المعطيات بسرعة، وربما أستعجل حين قرر أن تبحث الأركان الألمانية خطط الحرب على الاتحاد السوفيتي، معتقداً هذه المرة على حسابات دفترية (على الورق): جيش سوفيتي ضعيف، بلا قيادات حقيقية نتيجة تصفيات ستالين، أسلحة متخلفة تعود للحرب العالمية الأولى، طموح الشعوب السوفيتية للتخلص من الشيوعية، فأعتبر أن الوصول إلى موسكو لا تحتاج إلا إلى قفزة جريئة على يد قادة عباقرة الحرب الخاطفة /الميكانيكية والمدرعة، وسوف ينهار هذا الكيان فإما أن يضعف بدرجة لن يشكل خطراً أو أهمية، أو سيفرض عليهم سلماً ألمانيا ستقرر أبعاده. **والغرب الرأسمالي وهذه هي الفقرة الأهم في سيناريو الزعيم النازي سيهرع إلى ألمانيا التي هزمت الشيوعية الخصم الأكبر للرأسمالية، وسيتمثل هتلر لهم بصورة المنقذ والمحرر.**

(الصورة : الصاروخان فاو1 الأمامي، وفاو2 الخلفي بالأسود والأبيض)

هتلر كان يعرف تمام المعرفة مقولة الزعيم الألماني بطل الوحدة السياسي المحنك أوتو فون بسمارك قوله **" من أجل الحفاظ على ازدهار ألمانيا ومن أجل أن تنعم بالسلام ينبغي عليها (ألمانيا) أن تحافظ على السلام مع روسيا ".** ولكنه كان يدرك أن الاستسلام للإيقاع الصراع مع بريطانيا خيار خاسر، لذلك قرر اقتحام الجبهة الشرقية مع روسيا ووضع كل ثقله فيها على أمل أن " المعارك مع روسيا الشيوعية " ستقربه حتماً في مرحلة ما من الصراع، وأن الغرب سوف لن يسمحوا بوصول الشيوعية إلى حصونهم في أوربا الغربية. والغريب أن هذه القناعة لازمته إلى الأيام الأخيرة من الحرب أيار / 1945، وحتى ساعاته الأخيرة كان يتوقع أن يهرع الغرب لنجدته في الجبهة السوفيتية، وكانت معظم القوى الألمانية مركزة على الجبهة الشرقية، ويحث قادته على إجراء الاتصالات مع الجيوش الغربية ولا سيما الولايات المتحدة الأمريكية.

كانت خيارات هتلر تتقلص بتقدم الحرب، ولكنه كان يحصر آماله في :

- أن تقدم الصناعة الألمانية أسلحة متقدمة جداً ترغم الحلفاء على وقف الحرب، وكانت إنتاج الصواريخ البعيدة المدى (V1- V2) متواصلاً، وكذلك إنتاج الطائرة النفاثة مسرشمت (Messerschmitt 262) صنع منها 1433 طائرة، وإن كان تدبير الوقود اللازم للطائرات بدأ يشكل مشكلة، ولكن نتائج البحوث النووية وإنتاج السلاح الذري هو الأمل، ولكن النتائج الإيجابية ظهرت متأخراً بما لا يمثل انعطافة ذات نتائج حاسمة.
- أن تواجه الولايات المتحدة مشكلات في مسارح العمليات الآسيوية بما يكف يدها عن المسرح الأوربي.
- حدث سياسي خارق يلقي بظلاله المؤثرة على القرارات والعمليات الحربية.

ومنذ الأنتصار السوفيتي في معركة ستالينغراد التي استمرت نحو ستة أشهر (من 21/ آب / 1942 وحتى 2 / شباط / 1943) ابتدأ التراجع الألماني في الجبهة الشرقية ببطء ولكن تراجع متواصل حتى يوم 8 / أيار / 1945، يوم استسلام ألمانيا الرسمي. الخيارات تتقلص، ولكن هتلر ظل يعتقد أن حدثاً ما سينقذ الرايخ الثالث من الانهيار التام.

(الصورة: الطائرة النفاثة ميسر شمت 262)

ويكتب وزير التصنيع الحربي الألماني البرت شبير في إحدى مقابلاته بعد إطلاق سراحه (بعد 35 عاماً) أنه كان يستمع للمذياع بأهتمام تطورات الموقف الحربي في آسيا، وأنزعج كثيراً بأنباء الهجوم الياباني على ميناء بيرل هاربر وأندلاع الحرب بين الولايات المتحدة واليابان، وكان هتلر يحاول دفع اليابان لإعلان الحرب على الاتحاد السوفيتي، لأن ذلك سيخفف الضغط على الجبهة الشرقية / السوفيتية، ولمح الوزير شبير إلى تهاوي أمل كان هتلر يأمله. ثم فشل وساطة حاول الفاتيكان القيام بها مع الحلفاء الغربيين.

ذلك كان تقدير الموقف الخاطئ الذي قدره هتلر، أن حربه مع الاتحاد السوفيتي سيعيد ترتيب خريطة الموقف، وبالتالي الأولويات ثم التحالفات، وسيرغم الغرب الرأسمالي بإعادة النظر به وبنظامه وقبوله في عالم الدول الرأسمالية، وإن كان نظامه نازياً. وعلى هذا الأساس أيضاً كانت سفرة نائب هتلر رودولف هيس إلى بريطانيا 10/ أيار / 1941 (يحرص الجميع على إبقاءها من الملفات السرية).

وهكذا وجدت ألمانيا الهتلرية، في هجومها على الاتحاد السوفيتي، أنها ربما ستكون طوق النجاة الذي سيقذف لها. وبالنظر إلى التعتيم التام على هذه المسألة من قبل الإنكليز

والأمريكان، لذلك يكون من العسير معرفة فحوى المداولات التي دارت بين الإنكليز والأمريكان بصدد هذه القضية الحساسة، التي كانت دون ريب مدار بحث ودراسة.

ومن تجارب سابقة، نعلم أن أكثر من خلاف نشب بين الولايات المتحدة وبريطانيا حول مفردات الموقف بعد الحرب، منها مثلاً :

- الخلاف حول مستقبل الصين ودورها في السياسة العالمية. وكانت الولايات المتحدة تنظر بعين الرعاية والتقدير للصين بقيادة شان كاي شينك، إذ كانت الولايات المتحدة بقناعة تامة أن الصين ستكون لاعب مهم، ما لم يكن الأهم في القرن ما بعد الحرب العالمية الثانية. وكانت بريطانيا تعارض بشدة في منح الصين مواقعاً قيادية في تقرير شؤون العالم، ولكن الولايات المتحدة لها رؤية عالمية، ولا تهتم بالآيديولوجيات قدر بريطانيا، المهم لها هو القوة المالية الواعدة التي تنبأ بها الصين، بحسب قدراتها ومكانتها الجغرافية والاقتصادية.
- الولايات المتحدة تنبأت أيضاً ببروز قوة الاتحاد السوفيتي لا محالة بعد الحرب، حتى قبل التشكيلات السياسية في شرقي أوربا، وأن الاتحاد السوفيتي سيحصل على موقع سياسي / قيادي مستحق، بعد الدور الكبير الذي قامت به في تدمير الفاشية، وإنقاذ أوربا والعالم.

لذلك كان موقف التحالف الغربي (بريطانيا ـ الولايات المتحدة) موقفاً لا يتسم بشروط التحالف، ففي الوقت الذي كانوا (الحلفاء) يدركون تمام الإدراك أن الجبهة الشرقية (مع الاتحاد السوفيتي) هي دار فناء الجيوش الألمانية وموقع القتل لها، وكان بودهم أن يطول هذا التطاحن هناك لتسهل مهمات جيوشهم يوم الإنزال المرتقب لتحريري أوربا، فكانوا يساعدون السوفيت ويبيعون لهم الأسلحة والمعدات، ويماطلون بتاريخ وموعد الإنزال يشتى الذرائع، وفي الواقع لم ينزلوا في النورماندي إلا يوم 5 / حزيران / 1944 إلا عندما كانت الجيوش السوفيتية قد أتمت تحرير أراضيها وتقاتل الآن في أوربا الشرقية.

وكانت توجهات القوى الألمانية المعادية للنازية ذات التوجه الليبرالي، قد أدركت الآن تماماً، أن وصول الجيوش السوفياتية للأراضي الألمانية لم تعد سوى مسألة وقت وستدور الدائرة على الشعب الألماني.، لذلك أسرعوا بتدبير عمل يبتدأ بأغتيال لهتلر، والأنقلاب العسكري سيتدبر أمر هدنة مع الحلفاء الغربيين، لإيقاف الحرب. ولكن هذا التخطيط فشل، وكانت عناصر عديدة من الرايخ النازي تحاول الاتصال بالغرب (الإنكليز والأمريكان) ولكن بدون نتائج تذكر، لأن سقوط النظام برمته لم يعد بعيد المنال، لذلك خسر هتلر جميع خياراته وقبلها توقعاته، ولم يبق سوى أنتظار النهاية المحتومة.

القيادة العسكرية الألمانية ، كخيار أخير، كانت تفضل أن تحتل القوات الغربية أكبر مساحة ممكنة من ألمانيا، وأن تستلم القوات لهاـ وعرقلة تقدم

رابعاً : الجنرال هاينز غودريان

من رواد فكر سلاح المدرعات

مقدمة

يرد أسم الجنرال الألماني (الفريق الأول) هاينز غودريان (Heinz Guderian) حيثما نقرأ في الصفحات الهامة من تاريخ حروب الجيش الألماني في الحرب العالمية الثانية، فهو من قاد الفصول الحاسمة في كافة معارك الجيش الألماني في : تثبيت الوحدة مع النمسا (Einschluß)، ثم دخوله (في استعادة)على رأس القوات الألمانية إلى (Sudetenland) أرض السوديت، ثم لعبت قواته المدرعة الدور الحاسم في احتلال بولونيا، وفي التخطيط والتنفيذ بأحتلال وفرنسا، حتى أصبح أسم الفيلق الثاني المدرع الذي يقوده يثير الرعب حقاً.

هذه القدرات في التخطيط وقيادة القطعات المدرعة، دفعت هتلر لأستخدامه مرة أخرى في غزو الاتحاد السوفيتي، وأعاد هذا القائد تكرار "أمجاده"، ففي الأسابيع الأولى من بداية الهجوم حيث توغلت القوات الألمانية 400 كلم داخل الاراضي الروسية وفي 28 حزيران، بلغ الاختراق الألماني لروسيا 600 كلم شرق بولندا، وتواصل سقوط المدن الروسية بأيدي الجيش الألماني، وبحلول منتصف شهر أيلول ـ سبتمبر / 1941 كان الألمان على بعد كيلومترات غرب عاصمة روسيا موسكو.

بيد أن الشتاء القاسي فوق العادة، عدل من صورة الموقف العسكري، ولكن وقبل كل شيئ يضاف إلى ذلك صمود القيادة السوفيتية والشعب السوفيتي، وقدارته العالية في تحمل الخسائر واستعادة البناء، وهو ما مكنهم بالتالي من إيقاف الألمان على ضواحي موسكو، وصمود مدينة لينينغراد (سانت بطرسبيرغ) وحصار قوات الجيش السادس في ستالينغراد، والانتقال إلى مرحلة الهجوم وتحرير الأراضي السوفياتية.

في ترجمة لمقالات وبحوث عن اللغة الألمانية، قرأت مقاطع في غاية الأهمية منها : **" لم أكن أعتقد، أن العناد يمكنه أن يضيع سدى موقفاً حربياً رائعاً "** و **" ليس العدو لوحده هو ما تسبب بخسائر دماء كثيرة، "** وهي مقاطع تستحق أن يتعلم منها القادة العبر. وفي

آخر محاولة للجنرال (رقي إلى رتبة ماريشال / مشير) فون باولوس بالطلب من هتلر السماح له بالانسحاب جنوبا لإنقاذ جيشه، لكن هتلر منعه من ذلك لينتهى الأمر بإستسلام المريشال فون باولوس في 2 / فبراير ـ شباط ـ 1943 وسقوط 120.000 جندي ألماني في الأسر بينما قتل 180.000 جندي أخر خلال هذه المعركة. وكان من اليسير تجنب هذه النتيجة، لو أن هتلر تمعن الموقف برؤية أخرى.

كانت معركة ستالينغراد إشارة البدء لتراجع سوف لن يقف إلا عند أبوب الباب النظامي لمقر هتلر في العاصمة الألمانية برلين أيار / 1945.

في قراءة هذه البحوث عبرة سياسية / عسكرية خلال سيرة حياة قائد كبير ترك بصماته في الفكر العسكري العالمي.

غودريان أب لسلاح المدرعات الألماني

ما تزال صورة الجنرال هاينز غودريان (Heinz Guderian) تعيش وتنبض كأب لسلاح المدرعات الألمانية. وكانت ساعة الجنرال غودريان قد دقت في الهجوم على الاتحاد السوفيتي لتكون أفضل لحظات حياته، لكن دباباته غرست في الثلوج أمام موسكو وعلقت. فأقاله أدولف هتلر بسبب خلافات تاكتيكية، وكان الجنرال غودريان ينأى بنفسه عن أهداف هتلر السياسية، ورغم كل شيئ، فإن سمعة هذا القائد أسطورية حتى اليوم.

في صباح يوم 20 نيسان / أبريل / 1939 زلزلت الأرض في برلين، تكريما لعيد ميلاد أدولف هتلر الخمسين عندما أقيم استعراض عسكري ضخم في ذلك اليوم، وأنام الضيوف الأجانب الرسميين، ومئات الألوف من المتفرجين سارت 3000 سيارة غير مزودة بمحركات، و 5000 مركبة و 40 مدرعة ثقيلة، على امتداد شارع شارلوتنبورغ. عرض عسكري هائل شارك فيه 41،500 جندي وضابط، وحلقت فوق رؤوس الناس طائرات هيرمان غورنغ من سلاح الجو الألماني تتسابق في السماء بصخب مؤثر.

أراد هتلر استعراض قوة ألمانيا العسكرية أمام الأجانب، ونجح في إحداث التأثير والصدمة. بعد هذا الاستعراض ب 133 يوماً أطلق هتلر قواته لتغزو، ليطلق العنان بنفس الوقت للحرب العالمية الثانية.

مدرعات هاينز غودريان الفاتنة

في هذا استعراض القوة هذا، شاركت أيضاً، 600 مدرعة. فقد كانت هذه المدرعات إضافة إلى طائرات السلاح الجوي (Luftwaffe) موضع، فخر القائد (هتلر) وكان وراء بناء هذه القوة المدرعة الحديثة وتأسيسها في المقام الأول، رجل أسمه : هاينز غودريان. لأنه كان لبناء هذا السلاح الجديد والحديث في المقام الأول.
فمنذ عام 1938، وهذا الجنرال البالغ من العمر 51 عاماً هو القائد لسلاح المدرعات، وهو المنهمك منذ سنوات كثيرة ببناء وتشكيل قوات مدرعة جديدة، الآن ها قد حقق الهدف.

وكانت العسكرية تسري في عروق هاينز غودريان الذي ولد في بلدة كولم ببروسيا الغربية (اليوم في بولونيا) عام 1888 منذ المهد، إذ كان والده فريدريش قد خدم في الجيش الإمبراطوري حتى بلغ مرتبة ضابط. وهذا لم يكن في وقته شيئاً قليلاً، لمواطن من العامة،(ليس من طبقة النبلاء الفونات) في وقت كانت الفرص ضئيلة لبلوغ ضابط رفيع المستوى في جيش وليام الثاني.

شهد الابن غودريان (هاينز) الحرب العالمية الأولى كضابط شاب وكان في قسم المراسلات، ثم في الأركان، وهكذا، فإنه لم يشاهد الجبهة سوى لوقت قصير ولكن سنحت له فرصة لمشاهدة سلاحاً حديثاً الذي سرعان ما فتنه : الدبابات البريطانية.

(الصورة : الجيل الأول من الدبابات الألمانية)

لم يكن لهذا الاختراع الإنكليزي الجديد، له في الواقع أهمية حربية حاسمة، ولكن غودريان فكر وأعاد الأمر إلى أن الإنكليز ومن بعدهم الفرنسيون، لم يحسنوا استخدام هذا السلاح ثم أساؤا مرة أخرى عندما أرتكبوا أخطاء تكتيكية فادحة في الممارسة عند استخدام هذا الوحش الحديدي، فالضابط الشاب (غودريان) أكتشف فوراً قيمة سلاح المدرعات، والمهم كان في ضرورة استخدامها بصورة صحيحة، وألمانيا لم يكن لديها في الحرب سوى القليل من الدبابات، ولم تعتمد عليها إلا نادراً ولم تصنع إلا القليل منها.

لم تعقد السخرية من الدبابات نفسية الضابط الشاب غودريان وولعه بالمدرعات. وبعد أن وضعت الحرب أوزارها، ومكنت الحلفاء المنتصرين ولم تسمح لألمانيا وفق أتفاقيات فرساي 1919سوى بجيش لا يزيد تعداد أفراده على 100 ألف رجل، وبدون صناعة أسلحة حديثة، كالطائرات أو المدرعات، ولكن على الرغم من ذلك، أنهمك غودريان بسلاح المدرعات، يكتب المقالات، ويسعى لإيجاد المؤيدين لفكرته، ضمن الجيش الإمبراطوري، وكان ذلك (الترويج لفكره) أسهل من القيام به، لأن ألمانيا كانت قد تخلفت في تطور بريطانيا وفرنسا في صناعة الدبابات، لذلك كانت أفكاره تلاقي السخرية في قيادة الجيش.

وكان لغياب الدبابات الحقيقية لا سيما كان في المناورات الحقيقية، (إذ كانت تستخدم الدمى كهياكل وشواخص)، وغودريان والمنظرين من أمثاله، لم يكونوا قد شاهدوا دبابة من قبل، ولم تأتي الدبابات إلا عام 1929، ولكن غودريان لم يدع روحه تتأثر بهذه الأفكار والمعارضة التي أعتبرها رجعية، خاصة عندما استخدمت الدمى في غياب الدبابات في المناورات الفعلية.

وكان قد رقي إلى رتبة ميجور (رائد) وأصبح رئيساً لدائرة المركبات في وزارة الدفاع الامبراطوري في العاصمة برلين، وأصبحت لديه فرص أكبر لمواصلة مشروعه لتأسيس قوات مدرعة، وخصوصا عندما وجهه رئيسه أوزوالد (كان لوتز أيضا من المؤيدين المتحمسين لسلاح الدبابات) بصناعة دبابة جديدة.

تنامي شعبية "مدرسة غودريان "

ابتدأ الجيش الإمبراطوري بإعادة النظر تدريجيا في النظريات والعقائد ولكن لم يكن ذلك ليس قبل نهاية عقد العشرينات، وطرحت بعض النماذج من المدرعات التي دعيت باسم (PzKpfw1)، كما دعيت أيضا أيضا (Krupp Sport) – ولكنها لم يبدأ تثبيتها كسلسلة إنتاج سوى في عام 1933. ولكن على الرغم من إعادة التسليح السرية لجيش الامبراطورية التي ابتدأت بعد وصول هتلر إلى السلطة، وأستلامه قيادة الجيش، وكانت بريطانيا وفرنسا حتى عام 1935ما تزالان متقدمة تكنولوجيا كثيرا. وحاول (غودريان) بكتابه "الانتباه ـ دبابة" (Panzer-Achtung) كانت محاولته ترمي للترويج لفكرة الدبابة وجعلها مقبولة وشعبية.

مع بدء الحرب العالمية الثانية، في 1 / أيلول ـ سبتمبر / 1939 بدا الوضع يتغير تدريجياً و بدا بالفعل مختلفاً. إذ كان الجيش الألماني يمتلك في بداية الحرب أكثر من 2900 دبابة. كما ثبت أن هذا السلاح كان مناسباً جداً لاستراتيجية هتلر "الحرب الخاطفة" (Blizkrieg) ومنسجمة مع عموم تصوره للحرب المقبلة.

بعد حملة بولندا (بدأ الغزو في 1 / أيلول / 1939)، وفي أوائل صيف عام 1940 كانت الجيوش الألمانية قد أجتاحت غربي أوربا : هولندة وبلجيكا، كما كانت فرنسا قد هزمت في غضون أسابيع قليلة، وهنا أدرك هتلر أنه يدين بهذه الانتصارات إلى جنراله المدرع هاينز غودريان الذي أجتاح بدباباته فرنسا المترددة المضطربة، واعترافاً بهذا المنجزات،

أعطاه "الزعيم / هتلر" وسام الفارس الصليبي الحديدي" وتصاعدت مكانة غودريان شعبياً و أطلق عليه الشعب " هاينز السريع ".

"لم نعد نحارب الروس، ولكن ضد الطقس"

مع الهجوم على الاتحاد السوفيتي في 22 حزيران، 1941، بدا وكأن أن النجاحات تعيد نفسها، هب الجيش الألماني يمضي قدماً بخطوات غاضبة. ولكن مع تغير الطقس وبدء موسم الأمطار في الخريف، لم يكن هناك أمام دبابات غودريان من التباطؤ ثم التوقف من بد، ولا تختلف في ذلك عن غيرها من فروع الجيش الألماني إذ بقوا عالقين في مستنقع عميق من الطين والوحل.

وعندما حل فصل الشتاء بدرجات الحرارة المتجمدة، وهطول المزيد من الثلوج، أصبح الموقف مأساوياً حقاً، وبدأت الحالة تصبح كارثية. وفي 5 / كانون الأول / ديسمبر / 1941 كان على غودريان إيقاف هجومه على تولا، وفي رسالة لزوجته يكتب قائلاً : " أن بوسعنا القول أننا لا نحارب الروسبل الطقس، بقوله لزوجته: "يمكنك أن تقولي: لم نعد محاربة الروس، ولكن ضد الطقس، في أراضي غير مزروعة وأوحال لا نهاية لها ".

(الصورة : غودريان وجيشه في صحاري الجليد السوفيتية)

" لم أكن أعتقد، أن العناد يمكنه أن يضيع سدى موقفاً حربياً رائعاً ".

وتطورات الموقف أدت لأن يشتبك غودريان الآن مع قادة الحرب الكبار، مع أدولف هتلر مباشرة. فقد أصيب غودريان بالذهول من خططهم في الهجوم على أوكرانيا، والمضي بعد ذلك قدما نحو بأتجاه موسكو. وبهذه الاستراتيجية انزلقوا في " هاوية وحشية ". وفي القيادة العسكرية (بما فيهم هتلر)، اعتبروا أن أي انسحاب غير وارد، لا ينبغي مجرد التفكير به، حتى لو كان تاكتيكياً.

"أنا نفسي لم أكن أعتقد يمكن أن بوسع احد أن يضيع بالعناد سدى، موقفاً عسكرياً رائعاً خلال شهرين أثنين، إذ كان من الممكن اتخاذ القرار في وقته الصحيح، وقت لاتخاذ قرار التموضع في فصل الشتاء في خط دفاع مناسب ومريح، ولا يمكن أن يحدث فيه أي شيء خطير "، هكذا يكتب غودريان مرة أخرى إلى زوجته. بعد عدة ساعات من المناقشة مع هتلر، طلب منه غودريان الاستقالة، واستجاب هتلر لطلبه.

هتلر يستدعي غودريان: " أنا بحاجة لك "

ولكن في السنوات اللاحقة، وعندما تدهورت حالة الحرب من وجهة النظر الألمانية، وتواصلاً بعد الهزيمة في ستالينغراد، أستدعى هتلر في كانون الثاني / يناير / 1943 الفريق أول غودريان واستقبله بهذه الكلمات : " أنا بحاجة لك " وعينه بمنصب المفتش العام للقوات المدرعة. وبعد المحاولة الفاشلة لاغتيال هتلر في 20 / تموز ـ يوليه / 1944، عينه رئيساً لأركان الجيش.

ولكن في ظل هزيمة الحرب التي كانت تلوح في الأفق، لم يكن بوسع غودريان، أن يغير شيئاً، ولا والدبابات الممتازة المتطورة تكنيكياً من طراز (Tiger) النمر أو (Panther) الفهد يمكن أن تغير شيئا عندما جاء إلى تجدد المسلحة، ومع المستجدات المتلاحقة، صرف هتلر غودريان من الخدمة في مارس / 1945.

وقع غودريان في الأسر، ولكن أطلق سراحه 1948، وفي وقت لاحق كتب مذكراته التي حاول فيها أن يمنح انطباعا بأن الجيش الألماني كان في حالة حرب نظيفة (على خلاف وحدات ال " SS " مؤكداً الفكرة المعروفة بأنه كان أب لقوة المدرعات الألمانية، وهذه الصورة يستحقها، حتى لو كان هناك ضباط آخرين، والذين بدونهم لما كان قد حقق نجاحاته.

لم يكن مقتنعاً بالنازية، ولكنه انتهازي

غودريان لم مقتنعا النازية، بل كان انتهازياً(وفق التعابير السياسية)، بحسب قناعة المؤرخ العسكري ماركوس بولمان (Markus Pölhman). ومواقفه المعارضة تجاه هتلر كانت تمثل وجهات نظره التكتيكية والاستراتيجية - وليس مع وجهات النظر السياسية. لا شك أن غودريان كان له أسلوبه في مواجه ديكتاتور كهتلر، فهو كان يعارض، ثم يوافق، ليعارض مرة أخرى، وفي الإجمال، لم يكن هتلر راضياً كل الرضى عن غودريان مع اعترافه بعبقريته، ولذلك لم ينل قط رتبة الفيلد مارشال، المشير، مع أنه كان يستحقها فكراً وعملاً.

هاينز غوديريان توفي في عام 1954

(Freitag, 01.07.2016 - von FOCUS-Online-Autor Armin Fuhrer: لاحظ، المزيد من المعلومات)

هاينز غودريان كان بالنسبة لهتلر " ماريشال إلى الأمام "

كان الفريق أول هاينز غودريان يفضل أن يقود قواته " من الأمام". في خريف عام 1941 بالقرب الجبهة في الاتحاد السوفيتي. وكان الفريق أول الذي هو من أوجد القوات المدرعة الألمانية، ووضعها بكفاءة كما فعلها أيضاً، أرفين روميل، وكان لا يزال في رتبة الفريق أول التي نالها عام 1940 ويحمل وسام صليب الفارس، بأوراق البلوط، والذي منحه أياه هتلر في 17 / تموز – يوليو 1941.

جاءت الأخبار من البي بي سي (BBC) كقصف قنبلة. ففي نهاية عطلة نهاية الأسبوع الثالث تموز – يوليو / 1941، أعلنت الإذاعة البريطانية في برامجها الألمانية، أن الفريق أول هاينز غوديريان قد قتل على الجبهة الشرقية. وأكد راديو موسكو هذا النبأ.

ولكن سرعان ما تبين أن هذه المعلومة هي شائعة كاذبة : الفيلق المدرع الثاني، الذي كان يدعى بصفة عامة " فيلق مدرعات غودريان " ، " Panzergruppe Guderian"، وكان

في حالة صد هجمة مضادة سوفيتية شديدة. صمدت الفرق المدرعة خمسة وفرقتان من قوات أل (SS) ، ألوية العاصفة لعدة أيام غرب سمولينسك .

ولأنه من المعروف أن هاينز غوديريان كان يفضل قيادة قواته من الأمام (Von Vorne) صدق الكثير من الألمان النبأ الذي أذاعته البي بي سي، إذ كان بالإمكان بسهولة التصور، أن الفريق الأول قد قادته شعبيته وشجاعته إلى الأمام كثيراً وأكثر مما ينبغي في الجبهة.

في يوم الاثنين 21 / تموز – يوليو / 1941، صرح جوزيف غوبلز (وزير الدعاية) في حديثه الإذاعي اليومي: " إن الشائعات التي يبثها راديو موسكو من أن الجنرال غودريان قد لقى مصرعه، ليست صحيحة والحمد لله " هذا مع العلم أن وزارة الدعاية كانت تتجنب أن أن تكون سياستها الإعلامية هي الرد على إشاعات وأكاذيب وعلى ما تذيعه القنوات المعادية وهي كثيرة ويومية.

ثماني سنوات من أجل شائعة كاذبة

بعد يومين من النبأ الكاذب الذي إذاعته البي بي سي. سمع المهندس راينهارد كوتس في تمبلهوف (مطار برلين في تلك الأوقات) البث وإرسالها لصديقه هانز فيرنر شارفينكة كمذكرة حول هذا الموضوع: "ربما أن الجنرال قد قتل". وكوتس لم يكن يعلم أن عامل الراديو شارفينكة البالغ من العمر 21 عاما فقط كان قد تعرض للأعتقال قبل أيام بتهمة "زعزعة الروح المعنوية للجيش". وبسبب هذه الكذبة أيضاً، وحكم كوتس لمدة ثماني سنوات في السجن. فيما حكم على شارفينكة السجن لمدة سنة واحدة.

لم يكن هاينز غودريان بأرجحية عالية قد سمع أنباء اعتقال الشابين والحكم عليهما، فالأمر لانسبة له لم يكن أكثر من أثنين من بين أكثر من نصف مليون من الإجراءات الجنائية العسكرية وهي مسألة يومية. ومن أجل نظريته (القيادة من الأمام) كان الجنرال يعلم جيداً مخاطر هذا المبدأ، ومع ذلك واصل سيره وهو مدرك ، بل وكان يعتبر نفسه قدوة لغيره في القوات المسلحة.

وعلى العكس من العديد من الضباط المحترفين (غير المجندين أو المتطوعين في الحرب) لم يكن هاينز غودريان في الحرب العالمية الأولى يقود وحدة عسكرية، وكضابط ألمعي مهتم بالتكنيك أكمل في 1913/1912 دورة تدريب كضابط لاسلكي وتوجه إلى الجبهة الغربية، في إدارة الأخبار (محطة لاسلكي) في فرقة الفرسان، وفي مسار وظائفه، عمل في كضابط في الاستخبارات، ثم في إدارة الأركان العامة.

المهتم في الابتكارات التقنية

بعد هزيمة عام 1918 (الحرب العالمية الأولى) خدم غودريان أولا في وحدات المتطوعين في البلطيق، قبل نقله إلى الجيش الامبراطوري. وهنا كان جل اهتمامه مرة أخرى

بالابتكارات مهمة، أي في مجال وسائل النقل ذات المحركات. ولم تكن هذه سوى خطوة صغيرة إلى سلاح المدرعات.

وبالرغم من أن المادة 171 من معاهدة فرساي للسلام، قد حضرت بدقة على ألمانيا بموجب هذه المادة، تطوير أو صناعة أو استيراد أي من أنواع "الآليات المدرعة والدبابات أو أية أجهزة أخرى مماثلة يمكن أن تخدم أغراض الحرب". ولذلك، لم يستطع غودريان قبل حلول عام 1929 أن يقود دبابة من تلك التي صنعت في آخر أشهر الحرب العالمية الأولى، ومن تلك الطرازات التي بيع منها للسويد.

وعلى النقيض من جنرالات الجيش الامبراطوري، الذين كانوا يعتبرون أن الدبابات سلاح الجديد في مهمات دعم مهام للمشاة فقط. لكن غورديان كان يختلف معهم بصورة جذرية، إذ كانت له رؤية مغايرة وجديدة بصفة تامة، إذ كان يرى أنه من الممكن تشكيل وحدات مدرعة مستقلة كوحدات سلاح الفرسان السريعة وزجها في ميادين القتال.

ومن أجل اختبار التكتيكات الممكنة، ووضع الجنود الذين كانوا في قيادة المركبات، أن يتمرنوا على قيادة السيارات الكبيرة كالشاحنات (اللوري) وما شابه من الآليات الثقيلة. وبعض الأحيان جعل لهذه الآليات (تصفيح) من الخشب. هنا كان يكمن الجوهر الحقيقي لما سيجري الحديث عنه كأسطورة فيما بعد عن الدبابات الكارتونية (Papp-Panzern) التي استخدمت في الأيام الأولى للحرب العالمية الثانية ضد سلاح الفرسان البولونيين.

وأخيراً سمح لغودريان أن يشكل بنفسه في عام 1935 أول فرقة الدبابات في التاريخ العسكري الألماني، التي أطلق عليها رسمياً الفرقة المدرعة الثانية. وكانت الفرقة المدرعة الأولى قد تحولت في نفس الوقت من فرقة الفرسان السابقة إلى فرقة مدرعات أيضاً، وهكذا ف]قاع الأمور تسير وفق تصور غودريان.

موهبة للتعبير عن الذات

كان غودريان يتمتع بالكثير من الثقة بالنفس، وبموهبة التعبير عن نفسه وقدراته، لذلك لم وجد نفسه قادراً أن يقوم بتأليف كتابين شرح فيهما أراؤه في أن الدروع سيكون لها الدور الأهم في الحرب القادمة.

وكان كتابه "القوات المدرعة وتفاعلها مع غيرها من الأسلحة" للعام 1937. الذي أصدره غودريان وأهتم به العسكريون المختصون، كما لجمهوره الذي غدا واسعاً، ثم أصدر في نفس العام كتابه " أنتباه ـ دروع .. "، الذي ترجم فورا إلى اللغة الإنكليزية. في ذلك طرح الأمر على النحو التالي: **" إن محرك الدبابة هو أيضا سلاح كما البندقية ".**

منذ عام 1938 كان غودريان قائد سلاح المدرعات، العام للقوات المدرعة وقائد فيلق و "

قائد القوات السريعة ". في الحملة البولندية، التي حصل فيها على لقب " هاينز السريع" (Der schnelle Heinz).

في الحملة الفرنسية كانت هجماته حاسمة للحرب. أصبح الجنرال واحداً من أكثر الضباط شعبية، ولقب أيضاً "الفريق إلى الأمام" للرايخ الثالث. وكالجنرال الذي يصغره بثلاث أعوام أرفين روميل، كان غودريان يقود قواته من الأمام، متحملاً المخاطر الكبيرة، لكنه لم يكن كالجنرال المفضل لهتلر، وقال (غودريان) انه لا يعمل على الضد من التقاليد العسكرية كما يفعل روميل في مناوراته مع فيلقه (فرقة الأشباح).

جنرال عنيد

على العكس من ذلك، ظل غودريان في قلب المبادئ التي تعلمها في المدرسة الرئيسية للمتدربين (المدرسة العسكرية للضباط) برلين ـ ليشترفيلدة (kadettenanstalt Haupt Berlin-Lichterfelde) فأراد بالأشتراك مع أريش فون مانشتاين وضباط آخرين من الرتب الرفيعة، القيام بحركة الاحتجاج على هتلر، عندما وجهه هتلر في نهاية نوفمبر 1939 مناقشات كلامية ضد قيادات وجنرالات الجيش الألماني:

لكن نصف الجيل القديم من الضباط القادة (برتبة فريق) كالجنرال غيرد رونشتاد وفيلهلم ريتر فون ليب رفضوا. وأخيرا أبلغ غودريان شخصيا هتلر، أنه يعتبر المزاعم ضد القادة كإهانات، وكان أمراً مدهشاً أن يقبل هتلر هذه الملاحظة.

وبعد الانتصار على فرنسا هبت موجة مطالبة هائلة، ومست الجيش رقي غودريان إلى رتبة فريق أول، فلم يكن مقدراً له أن يبلغ رتبة أعلى، وبقيت رتبة جنرال فيلد ماريشال (Geralfelmarschall) بعيدة عنه.

تدهور العلاقة مع هتلر

خلال الأشهر الستة الأولى من الحملة الشرقية تمكن غودريان من تسجيل نجاحات كبيرة مع فرقته المدرعة الثانية خصوصاً معارك الحصار في الجبهة السوفيتية الغربية، وفي ديسمبر / كان الأول / 1941 توترت العلاقة مع هتلر، وأقيل غودريان لأنه تجاهل أوامر هتلر بعدم إيقاف القتال، وبرر غودريان " أنه ينبغي الحفاظ قدر الإمكان على القوات المدرعة، لكي تستطيع دعم الجيش في مواجهة المخاطر التي تواجهه بفقدان الأراضي ".

وأوضح من ذلك هو ما سجل للقوات البرية القطاع الأوسط في " يوميات الحرب " التي سجلها غودريان حيث نقلت الصحيفة عنه قوله: "أنا على استعداد لاستقبال هذه الأوامر وتحديد الملفات. بل مستعداً لأكثر من ذلك حتى بمواجهة خط المثول أمام محكمة ميدان عسكرية.

لأن هتلر كان يريد بأي ثمن تجنب تعريض سلطته لأي ضرر، فأقدم ببساطة على إقالة غودريان وستة من الجنرالات الآخرين، وأتهمه خبراء المدرعات، بأنه كثير الشفقة على جنوده، ووضعه هتلر في الاحتياطي القريب (احتياط الخط الأول) في برلين.

كان هذا الإجراء مفاجئاً حتى بالنسبة لجوزيف غوبلز (وزير الدعاية)، وبعد حوالي أربعة أسابيع علم وزير الدعاية التفاصيل: " لقد أوضح لي الزعيم " هتلر " لماذا أقال غودريان، إنه لم يطع الأوامر، كان عليه أن يعلم أن أوامر الزعيم هتلر" هي أفضل من قوانين الخدمة، فالزعيم هو من رأي، وما رآه في رأيي هو الصواب تماما، وهذا في أزمة الطاعة هو القانون الأسمى ". والزعيم يمثل الموقف الأصح تماماً، إنها أزمة الطاعة، وهي القانون الأعلى ".

فضيحة مشينة بسبب المال

ولكن يبدو أن استياء الديكتاتور من غودريان قد هدأ إلى حد كبير وعن ذلك يقول غوبلز: " إنه يريد أن يتعبه لبضعة أسابيع، ومن ثم يعيد استخدامه من جديد ". وفي الواقع، طالت الإجازة القسرية لمدة سنة ونصف، سوف لن يولى غودريان بعدها أبداً قيادة قوات. وفي نيسان ـ مارس / 1943 أصبح مفتشاً للسلاح المدرعات، وبالتعاون مع وزير التسليح ألبرت شبير الذي كان عليه أن يتولى رفع الإنتاج والإنتاجية وقدرات المدرعات الألمانية.
وكان هتلر قبل ذلك قد أبلغ غودريان أنه يريد أن يمنحه (هدية فرسان) عبارة أملاك في منطقة دايبنهوف غرب بولونيا، وتسمى حالياً فارته لاند وكانت قيمتها آنذاك تبلغ 1,2 مليون من الماركات، بالإضافة إلى راتبه الأساسي الذي كان يبلغ 24,000 مارك سنوياً، وكان غودريان يتقاضى نفس المبلغ، كما غيره من كبار الجنرالات، من مخصصات هتلر السرية، وهي هذه المرة معفاة من الضريبة.
وكان لهذه الفضائح المالية نتائجها النجاح: رفض غودريان الاستجابة لجميع محاولات جس النبض من المقاومة (المعارضة) العسكرية. ولكنه بالمقابل أن يقدم على خيانة زملائه من الضباط الصغار (لم يخبر عن الضباط ممن فاتحوه بالانظمام لعمل عسكري ضد هتلر).
بعد 20 / تموز ـ يوليو / 1944 (محاول اغتيال هتلر والانقلاب) عين هتلر غودريان بموقع رئيس هيئة الأركان العامة، ولكنه كان منذ فترة طويلة لم يكن قد مارس العمل بمواقع مؤثرة. ومع ذلك، تقدم غودريان بالشكر لهذا التعين، وقدم اعترافا واضحاً والتزاما لنظام هتلر وهو ما جاء في أوامر الجيش اليومية، في 25 / آب ـ أغسطس/ 1944 بقوله وتأكيده : "لا يوجد مستقبل للرايخ من دون الاشتراكية القومية " (الحزب النازي).
وعندما ابتدأت المعارك النهائية، أعفى هتلر في نهاية آذار ـ مارس / 1945 " هاينز السريع " للمرة الثانية والأخيرة. وبعد نهاية الحرب دخل غودريان في أسر القوات الأمريكية، ولكن لم توجه له اتهامات خلال فترة اعتقاله لثلاث سنوات، وبعد أن أطلق سراحه، عمل على تكريس شهرته، فنشر عام 1951 كتباً هو أشبه بمذكراته بعنوان " "مذكرات جندي " وفيها وصف فيها سيرة حياته وقتال الجيش الألماني ضد الاتحاد السوفيتي.

توفي الفريق اول هاينز غودريان بوقت قليل من عيد ميلاده السادس والستين في أيار ـ ماي / 1954

ـ كانت (kadettenanstalt Berlin-Lichterfelde Haupt) بالقرب من برلين، للفترة من 1882 إلى 1920 بمثابة المدرسة الرئيسية لتخريج الضباط للجيش البروسي.

ـ كانت (kadettenanstalt Berlin-Lichterfelde Haupt) بالقرب من برلين، للفترة من 1882 إلى 1920 بمثابة المدرسة الرئيسية لتخريج الضباط للجيش البروسي.

ــ هذه هي التسميات للجيش الألماني عبر العهود :
Reichswehr : الجيش الامبراطوري
Wehrmacht : جيش الدفاع (في العهد النازي)
Bundeswehr : الجيش الاتحادي (بعد الحرب العالمية الثانية ـ حالياً)
(لمزيد من الاطلاع أنظر
Von Sven Felix Kellerhoff : am 03.04.2013)

إذن عليك أن تعض الأرض

طار الفريق أول هاينز غودريان، قائد الفيلق المدرع الثاني، بتاريخ 20 / كانون الأول ـ ديسمبر / 1941 من الجبهة الشرقية إلى مقر الفوهرر لإقناع هتلر بالقيام بالانسحابات الضرورية، في حالات الضرورة التي يمليها طقس الشتاء، الطين والانجماد والثلوج، التي جعلت من الفرق الألمانية غير قادرة على الحركة تقريباً، والنقص في المقرات، والألبسة الشتوية، قادت إلى حالات انجماد صعبة في القطعات. ولكن محاول غودريان إقناع هتلر فشلت : وفي اليوم الثاني لعيد الميلاد، استبعد عن قيادة الفيلق وأحيل إلى أحتياط القائد العام .
وغودريان سجل في ذكرياته حواره مع هتلر " مذكرات جندي " كما يلي:

بدأت مداخلتي بوصف للموقف العملياتي للفيلق المدرع الثاني والفيلق الثاني. ثم ذهبت إلى مقصدي، أن ينسحب كلا الجيشين جزئياً إلى مواضع سوشا ـ أوكا .
كنت مقتنعا أن هتلر يعلم الأمر، ولكن دهشتي كانت كبيرة، عندما صرخ بشدة : "لا، أنا أمنع ذلك ..! "
وأبلغته أن الحركة ربما تكون قد بدأت وعلى طول ما يسمى خط النهر لا توجد مواضع صالحة، وإذا كان عازماً على إيقاف القوات، فإنه لا خيار آخر لديه.

هتلر : " إذن عليكم أن تعضوا الأرض، وتدافعون عن كل متر مربع ".

أنا: " إن العض في الأرض لم يعد ممكنا في أي مكان، لأن الأرض متجلدة بعمق متر إلى متر ونصف، وبأدوات حفر الخنادق الرديئة التي بحوزتنا لا نبلغ حتى سطح الأرض.

هتلر: "إذن عليكم لديك أطلاق النار بالمدفعية الثقيلة على المواقع المطلوبة لتحفرها، لقد فعلنا ذلك في الحرب العالمية الأولى في الفلاندرز.

أنا : "في الحرب العالمية الأولى كانت فرقنا في فلاندرز بعرض من 4-6 كم ودفاعاتها كانت 2 إلى 3 من بطريات مدافع الهاوتزر الثقيلة مع ذخيرة وفيرة نسبيا. وفرقتي عليها الدفاع عن 20 إلى 40 كم عرض جبهة ولدي فرقة اخرى مع 4 مدافع هاوتزر ثقيلة، ومع كل منها 50 قنبلة، وإذا قررت استخدامها لإطلاق النار النطاط منها، سوف لن يحدث لدي سوى أحواض حولها بقع سوداء، ولكنها سوف لن تساعدني أبداً في تكوين موضع دفاعي. وفي الفلاندرز لم تهبط درجات الحرارة إلى هذا القدر، كما نحن نعيشها الآن. أنا في حاجة إلى الذخيرة للدفاع ضد الروس، ولا نتوافر لا حتى على أعمدة وقضبان لمد خطوط الهاتف في الأرض، ومن أجل حفر الأرض نحتاج إلى متفجرات، فمن أين نجلب المتفجرات وبمقادير كبيرة من أجل حفر مواضع دفاعية ".

ولكن هتلر أصر وواصل قراره وضرورة أتباع أوامره.

أنا: " إذن هذا يعني الانتقال إلى حرب المواضع، في أرض لا تناسبنا تضاريسها وظروفها، أي كما حدث في الجبهة الغربية في الحرب العالمية الأولى، وسنقدم نفس الخسائر الهائلة في المعدات والأفراد، دون أن يكون هناك قتال من أجل الحسم. والآن في هذا الشتاء وبسبب هذا التكتيك قدمنا حتى الآن تضحيات من الضباط والجنود، وهي تضحيات بلا فائدة.

هتلر: "هل تعتقد أن مشاة فريدريك الكبير كان يود أن يلقى الجنود حتفهم بسرور ؟ هم كانوا أيضاً يريدون أن يعيشوا، ولكن كان أيضاً من حق الملك مطالبتهم بالتضحية بحياتهم، وأنا أيضاً من حقي أن أطالب كل جندي ألماني بالتضحية بحياته" .

أنا : " كل جندي ألماني يعلم أنه في هذه الحرب يقدم حياته من أجل الوطن، وأن جنودنا قد أثبتوا إلى حد الآن أنهم على استعداد على قبول هذه التضحية، ولكن ينبغي المطالبة بهذه التضحية فقط عندما تكون في الميدان والعمل المستحق، ولكن الأوامر التي عندي ستقود إلى خسائر التي سوف لن تؤدي بحال إلى نتائج مستحقة، وأرجو نتذكر، أن **ليس العدو لوحده هو ما تسبب بخسائر دماء كثيرة**، ولكن أيضاً هذا البرد الغير الطبيعي الذي كلفنا ضعف خسائرنا من نيران العدو، ومن يشاهد المتجمدين في المستوصف يعلم ما أقول وما يعني ذلك ".

هتلر: " إنك تدع نفسك تتأثر كثيراً من معاناة الجنود وآلامهم، أنك متأثر بمعاناتهم "

أنا : " هذا بديهي وهو من واجباتي والتزامي أن أبلغ عن معاناة جنودي، بقدر ما أستطيع، ولكنه أمر صعب عندما لا يجد الرجال حتى الآن الملابس الشتوية، وجنود المشاة في غالبيتهم يتجولون في سراويل مثقوبة ".

هتلر مقاطعاً : "هذا غير صحيح، وقد أبلغني مدير التموين العام أنه قد تم تعيين الملابس الشتوية .."

أنا : إنها مكدسة في محطة قطار وارسو، وهي هناك منذ أسابيع بسبب نقص في القطارات، وكون الطرق غير سالكة، وطلباتنا في سبتمبر / أيلول، و أكتوبر / تشرين الأول رفضت بفضاضة، وها أن الوقت قد تأخر الآن ".

وعندما أستدعي مدير التموين العام، أكد له ما طرحت. وكانت نتيجة لهذه المناقشة واستدعاء مدير التموين، تكليفه بخياطة ملابس لغوبلز (وزير الدعاية) لأعياد الميلاد ورأس السنة الميلادية 1941، ولم تصل الملابس لأيدي الجنود.

بعد تناول الطعام، استأنفنا الحديث، اقترحت: توجيه ضباط الأركان العامة للجيش والقوات المسلحة، (OKH) و (OKW) الذين يعيشون الحرب في المقرات قائلاً : " من ردود أفعال القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة، استنتجت الأنطباع، أن تقاريرنا وتبليغاتنا لا ترسل بطريقة صحيحة، وكنتيجة لهذا لا تصل لا يجري العمل بصورة صحيحة، لذلك أجد من الضروري، أن يجري وضع ضباط الأركان في القيادة العامة للجيش، والقيادة العامة للقوات المسلحة، وهناك في هذين الموقعين، ضباط لم يشاهدوا الجبهة منذ بدء الحرب، أكثر من عامين."

أجاب هتلر بسخط : " لا يمكنني الآن أن أعزل نفسي من محيطي ".

أنا : "وأنت أيضاً لا تحتاج لأن تتدرب مع معاونيك الشخصيين، ومن المهم أن يكون لديك هيئة ركن من ضباط موثوقين ممن يمتلكون تجارب جبهة حديثة، لا سيما في حرب الشتاء".

وحتى هذا الاقتراح رفضه هتلر بفضاضة.

- هاينز غودريان (مذكرات جندي) دار النشر فوفينكل / هايدلبيرغ.
- قول هتلر لغودريان ساعة تقليده وسام الصليب، فارس في 27/ أكتوبر ـ تشرين الأول / 1939

1-- OKW: Ober Kommando der Wehrmach
2-- OKH: Ober Kommando des Heeres

1. القيادة العامة للقوات المسلحة.
2. قيادة العامة للجيش

ضمير غودريان

كان الجنرال (الفريق الأول) السابق غودريان بحسب تقدير كافة الأخصائيين، هو الأب الحقيقي لسلاح المدرعات الألماني الحديث، وأنه دون ريب كان خبيراً كبيراً.

ولكن في المقابل، كانت شخصيته وسلوكه الشخصي ليست مثالية تماماً. ولهذا السبب، فهي حالة لا يمكن لقيادة الجيش الألماني الاتحادي (الحالي) أستخلاص خصائص ومزايا يمكن أن تمنح له(من تكريم كتسمي معسكرات ووحدات بأسمه). وإذا كانوا سيطرحونه كمثال، فإن ذلك سيعني بأنهم لا يعطون الخصائص والصفات البشرية قيمة ووزنها في التقييم، **على الرغم من أستمارات التقييم في الجيش الألماني الاتحادي، تهتم أولاً بشخصية الجندي، ومن ثم بالتالي مهاراته وقدراته في الخدمة.**

لا يجوز لأحد أن يلوم غودريان لعدم أشتراكه بمحاولة 20 / تموز ـ يوليو / 1944 فهذا لم يكن شيئاً معيارياً تقاس عليه النماذج، ولكن الأمور تعرض اليوم، كما لو أنه كان قد وجد طريقة أفضل لخلع هتلر. وتوجد معلومات غير كافية أن غودريان فوتح بالعمل ولكنه رفض، وبرأيه أن عملاً ضد هتلر قد يؤدي إلى مخاطر

كان غودريان عضوا في "محكمة الشرف"، وهي محكمة خاصة كلفها هتلر بمحاكم الضباط المشتركين بمحاولة الانقلاب، وبينهم ماريشال (مشير)، وعشرة جنرالات، انتزعوا من صفوف القوات المسلحة، وأرسلوا إلى محكمة الجيش وسلموا إلى الجلاد فرايزلر ليحاكمهم. دون أن يتاح لهم (55 ضابطاً) فرصة الدفاع عن أنفسهم، قامت " محكمة الشرف " هذه بطردهم أو تسريحهم من الجيش خلال دقائق، ومن بين الضباط الذين سيقوا إلى الإعدام، أربعة ضباط الذين ستطلق أسمائهم فيما بعد (الجيش الألماني الاتحادي / الحديث) على ثكنات الجيش الاتحادي، وهم : العقيد كلاوس شتاوفنبيرغ، الجنرال هينينك فون تريشكو، والجنرال فيلغيبل، والعقيد فينك، إنها حقاً مفارقة أن يكون إلى جانب هذه الأسماء، الفريق أول غودريان ليس كمشارك في محاولة الانقلاب، بل كعضو في محكمة " الشرف". (كان رئيس المحكمة الفيلد مارشال روندشتاد، والفيلد ماريشال كايتل عضواً، والفريق أول غودريان عضواً، إضافة إلى عضوين آخرين).

وفي 29 / تموز ـ يوليو / 1944، أصدر غودريان للضباط في الأركان العامة، بصفته رئيساً للأركان أمراً، وفيه يطلب من كافة الضباط في الأركان العامة، الولاء للأشتراكية الوطنية (الحزب النازي).

ضباط القيادة ينبغي أن يكونوا ....

بمناسبة إزاحة الستار عن لوحة تذكارية في جوسلار، القى اللواء المتقاعد تومالله خطاباً، والذي وصف فيه غودريان بأنه "نموذج أفضل يتمتع بالشعور بالمسؤولية الألمانية. وبالإشارة إلى أحداث 20 / تموز ـ يوليو / 1944 (محاولة الانقلاب)، قال، كان غودريان مساهماً في المقاومة ومعارضة هتلر، ولكن لرؤيته لما يمكن أن يحدث رفض المشاركة، وفي الحكم على الموضوع كله يتضح صواب رؤية غودريان في عدم امكانية النجاح .

يصف شتودنيتس في كتابه (عندما أحترقت برلين) كيف ظهر غودريان في 7 / مارس ـ آذار / 1945 في وزارة الإعلام في مؤتمر صحفي أمام الصحافة الداخلية والأجنبية، الفريق الأول يتلو نصاً كأمر من المريشال السوفيتي جوكوف، الذي يتضمن : " الآن تم محاصرة الوحش الفاشي في مخبأه للإجهاز عليه ". ثم أوضح غودريان في ختام بيانه، أنا شخصياً قاتلت في الاتحاد السوفيتي، ولكني لم أمارس أعمال شيطانية، أو غرف الغاز، وغيرها من نتاجات الخيال المريض. والقصد من ذلك واضح، بهذه الأكاذيب الواضحة هو أنتزاع الكراهية ضد الجنود السوفيت البدائيين ".

وعلق شتودينتس في مذكراته آنذاك : " لم تكن الأنطباعات جيدة من هذه التصريحات. العالم يعرف الآن التصوير، والأفلام، وتقارير شهود العيان، عن معسكر الموت في (Maidanek) ميدانيك، ومعسكرات الاعتقال والموت في (Auschwiz) آوشفتز وغيرها من المعتقلات. الشعب الألماني، لم يكن يعلم شيئاً عن هذه الفعال.

والآن هل ينبغي أن نعتقد أن غودريان كان على علم بكل ذلك، ليدلي بهذا الحديث بهذا الشكل. إن المرء يتساءل كيف يمكن أن رئيس الأركان يجد نفسه مشاركاً في اللحظة في حفل دعائي "

هذا ما سجله ستودنتس في مارس / آذار / 1945.

لاحظ الجدول : حجم إنتاج الدبابات من طراز النمر 2 (Tieger2)

إنتاج الدبابة نمر من كافة الطرازات

	كانون الثاني	شباط	آذار	نيسان	أيار	حزيران	تموز	آب	أيلول	تشرين الأول	تشرين الثاني	كانون الأول	المجموع
1942	_	_	_	_	_	_	_	8	3	11	25	30	78
1943	35	32	41	46	50	60	65	60	85	50	60	65	649
1944	93	95	86	104	100	75	64	6	_	_	_	_	623

في آب 1944 أوقف إنتاج دبابة النمر، وبموازاة ذلك أبتدأ إنتاج (النمر الملكي) وتسلسلها النمر 2، وكان إنتاج الدبابة الباثر لبضعة شهور عام 1943

سيرة حياة الفريق الأول هاينز غودريان

1888

17 / تموز ـ يوليه : ولادة هاينز غودريان في كولم / بروسيا الغربية، كأبن لضابط بروسي (فريدريش غودريان) وزوجته السيدة كلارا (أسمها قبل الزواج كيرشهوف).

1907
بعد دراسة في مدرسة الضباط بكارلسروه وبرلين، دخل في خدمة الجيش.

1908
برتبة ملام أنتمي غودريان إلى فوج القناصة في غوسلار.

1913
تزوج من مارغريت غويرن ، وأسفر الزواج عن ولدين.

1914
مع بداية الحرب العالمية الأولى، أصبح غودريان كضابط استخبارات، في الجبهة الغربية.

1917
تحول إلى الأركان العامة

1919
غودريان في جيش البلطيق الحر(المتطوعين) وفي الدفاع عن الحدود الشرقية في شليزيان.

1920
في عهد جمهورية فايمار لفت الأنظار رغم التخفيض في لجيش بموجب معاهدة فرساي قبل كرائد في الجيش الامبراطوري، ورقي إلى رتبة عقيد.

1922 – 1924
نقل غودريان إلى مفتش في إدارة المركبات في ميونيخ.

1924 – 1931
خلال خدمته دائرة القوات وقيادة الجيش وكقائد لقسم النقل الثقيل الثالث، بدأ اهتمام غودريان بالمحركات والمركبات ذات المحركات، في الجيش الامبراطوري، كواحد من الضباط القلائل في الجيش، يشعر ويقدر بدقة أهمية والقوة الضاربة لسلاح المدرعات في الحروب المقبلة. ومقترحاته في قيادة الحرب كانت غير متداولة بعد في ألمانيا، وبدأ الاهتمام بالسلاح المدرع، حتى بين الضباط المحافظين.
وبسبب اتفاقية فرساي، التي منعت ألمانيا من امتلاك السلاح المدرع، بدأ غودريان مع نخبة مختارة من ضباط الجيش يتدربون على الدبابات في الاتحاد السوفيتي وهنغاريا، وفي ألمانيا تدرب على قيادة الدبابة، ومبتدئاً بالتراكتور، والسيارات، والدبابات المصنوعة من الخشب.

1931
أصبح رئيساً لأركان فحص مواصلات الجيش.

بعد 1933
وهذه المرحلة مؤشرة باستلام الحزب الوطني الاشتراكي (NSDAP) للحكم بزعامة هتلر ومباشرة خطط التسليح، وصناعة الدبابات، وتأسيس القوات المدرعة.

1934
أرتقى إلى منصب رئيس أركان القوات الآلية.

1935
أكتوبر ـ تشرين الأول : تأسست أول فرقة مدرعة في الجيش الألماني بعد الحرب، تولى غودريان قيادة الفرقة المدرعة الثانية.

1936
ترقيته إلى رتبة لواء

1937
نشر قواعد أفكاره الاستراتيجية في كتابه " أنتباه ... دروع ".

1938
ترقيته إلى رتبة فريق.
12 / مارس ـ آذار : في إطار الوحدة الألمانية ـ النمساوية، تقدم غودريان إلى النمسا على رأس وحدات مدرعة.
أكتوبر ـ تشرين الأول : شارك في التقدم إلى مناطق السوديت (أراضي ألمانيا في تشيكوسلوفاكيا).
نوفمبر ـ تشرين الثاني : أصبح غودريان قائداً للقوات المدرعة، ورئيس الوحدات السريعة.

1939
سبتمبر / أكتوبر : خلال عملية غزو بولونيا أصبح غودريان قائداً للفيلق الآلي التاسع عشر. وبسبب من أفكار غودريان الاستراتيجية حول تاكتيكات العالية لأستخدام القوات المدرعة بوصفها القوة الضاربة في الجبهات المعادية أعتبرت الحرب في بولونيا من وجهة النظر الألمانية نصراً صاعقاً " Blitzsieg ".

1940
في مطلع العام : كان دوره حاسماً في خطط الفريق أول (المشير فيما بعد) أريش فون مانشتاين الهجومية " Sichelschnitt " قص المنجل، وتحقق في الهجوم الغربي نجاحاً.
أيار ـ ماي : نجح غودريان بمجموعة القوات التاسعة متجنباً المجازفة بسبب طبيعة الأرض (الطبوغرافيا) في الآردين.

حزيران ـ يونيه : خلال معركة فرنسا، تقدم عبر فردان بأتجاه الحدود السويسرية، حيث تمكن من حصار القسم الأعظم من الجيش الفرنسية.
تموز ـ يوليه : ترقيته إلى رتبة فريق أول.

1941
حزيران ـ يونيه : مع بدء الهجوم الألماني على الاتحاد السوفيتي، تولى قيادة الفيلق الثاني الذي شهد معهم أول حالة حصار في الحرب بالقرب من بيالستوك ومينسك (Bialystok / Minsk) .
17 / تموز ـ يوليه : بوصفه أكثر الجنرالات القادة نجاحاً في الحرب العالمية الثانية، وخلال معارك سمولنسك، منح غودريان وسام ورقة البلوط صليب الفارس.
23 / آب ـ أوغست : حاول غودريان عبثاً بطلب من الجنرالات في الجبهة الشرقية إقناع هتلر إيقاف الهجوم على موسكو، وتأجيل الهجوم على أوكرانيا .
تشرين الأول ـ أكتوبر : بالفيلق المدرع الثاني والقوات الملتحقة بقيادته، تمكن من حسم معركة حصار بريانسك لصالحه.
حاول الجنرال هاينرش فون تريشكو عبثاً أن يضم غودريان إلى خطط الأنقلاب ضد هتلر.
21 / كانون الأول ـ ديسمبر : بسبب عدم أنضباطه في الجبهة، أحيل من قبل هتلر إلى الاحتياط القريب.

1943
آذار ـ مارس : بعد معركة الإبادة للجيش الألماني في ستالينغراد، وبدء مرحلة التحول في الحرب، أعيد إلى العمل وعين كمفتش عام للقوات المدرعة.
تشرين الأول ـ أكتوبر : أستلم كهدية من هتلر مساحة من الأرض قرب فارتلاند تقدر قيمتها 1.24 مليون مارك.

1944
21 / تموز ـ يوليه : غودريان يصبح رئيساً للأركان خلفاً للجنرال (Kurt Zeitzler) كورت تسايتسلر الذي أقيل لأسباب استراتيجية.
على الرغم من أنه كان حتى الآن يتعاطف مع الاشتراكية الوطنية (الحزب النازي)، أبدى غودريان إخلاصة للنظام النازي. وكعضو في " محكمة الشرف " الخاصة التي تشكلت في أعقاب المحاولة والاغتيال الفاشلة للأنقلاب على هتلر 20 / تموز ـ يوليه / 1944، عين غودريان عضواً فيها إلى جانب المريشال غيرد رونشتاد، والمريشال كايتل، حاكمت الضباط المشاركين، الذين طردوا من الجيش، وفي نفس الوقت طالب غودريان من ضباط الجيش الألماني (الفير ماخت) وتسبب بإحالة أحد الضباط للمحاكمة والحكم عليهم بالإعدام.

1955
28/ آذار ـ مارس : رأى غودريان بعد أن بلغ الموقف العسكري درجة ميئوس منها، السعي لأتفاقية منفردة مع القوى الغربية، ولكنها أعتمدت من هتلر بعد مناقشات حامية.

1948 – 1945
غودريان في أسر القوات الأمريكية.

1951
نشرت مذكراته بعنوان " مذكرات جندي ".

1954
14 / أيار ـ ماي : توفي الفريق الأول هاينز غودريان في شفانغناو بالقرب من فوسن.

خامساً : المشير فردريك باولوس

فردريك باولوس (1890 – 1957) ضابط ألماني تقلد قيادات عسكرية (قائد مجموعة جيوش) وبلغ رتبة الفيلد ماريشال (مشير) ولد في مدينة (Guxhagen) التابعة لكاسل وسط ألمانيا، وتوفي في بلدة قريبة من مدينة درسدن جنوب شرق ألمانيا، أنهى دراسة الثانوية في كاسل، ولم يتمكن من تحقيق رغبته بدراسة البحرية للأنظمام للقوات البحرية الامبراطورية، فألتحق لدراسة القانون في جامعة ماربيرغ، إلا أن دراسة القانون لم ترق له تماماً، فتركها بعد فصل دراسي واحد، فالتحق متطوعاً في الجيش(1910)، ثم درس في مدرسة الضباط، وتخرج برتبة ملازم بعد سنة واحدة (1911) وقبل اندلاع الحرب العالمية الأولى كان مساعدا للفوج المشاة الثالث حيث خدم في البداية في وحدات المشاة، وخلال الحرب العالمية الأولى خدم في الجبهة الغربية (فرنسا) ثم في الجبهة الشرقية (صربيا ومقدونيا) .

وبعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها، وفي مرحلة حافلة بالاضطرابات السياسية في ألمانيا، أستطاع باولوس أن يلفت الأنظار إليه بنشاطه وقابلياته، فعمل في هيئات الركن، وواصل دراساته ودوراته العسكرية، حيث تلقة العلوم العسكرية في المدرسة الحربية ببرلين (1931) ونال رتبة المقدم، ثم قام بتدريس مادة التكتيك (التعبئة)، وعند البدء بتشكيل الوحدات الآلية والمدرعة، عمل كأمر كتيبة آلية (1934 - 1935) وسرعان ما أنتقل إلى القطعات المدرعة الكبيرة حيث عمل كقائد فرقة مدرعات تحت قيادة الجنرال لوتز، ثم تحت أمرة الجنرال فون غودريان الذي كتب عنه بأنه **ضابط عبقري ونشط، ولكنه غير حاسم في قراراته، ويفتقر إلى الصلابة، وإلى الخبرة.**

وأبان غزو الجيش الألماني لبلجيكا وهولندة ومن ثم فرنسا، رقي إلى رتبة لواء وشارك في الغزو كقائد للفيلق (الجيش) العاشر، ولأن خدماته كانت مرضية رقي إلى رتبة فريق، وبهذه الرتبة شارك في إعداد الخطط ضد الاتحاد السوفيتي.

وفي الحملة ضد الاتحاد السوفيتي رقي إلى رتبة فريق أول، وعين لقيادة الفيلق السادس، وكلف بمهة أحتلال ستالينغراد، ورغم كل المصاعب الطبيعية والتكنيكية، كاد الجنرال باولوس أن ينجح بمهمته، إلا أن صلابة وأستماتة القوات السوفيتية في الدفاع عن هذه المدينة الصناعية الهامة، وقيمتها السياسية (كونها تحمل أسم رئيس الدولة السوفيتية) أحالت النصر الألماني الوشيك إلى هزيمة كاسحة. عندما أستلم الفريق أول باولوس قيادة الجيش السادس في ستالينغراد في كانون الثاني / 1942 عين كقائد مجموعة جيوش مدرعة، وبعد عام واحد رقي إلى رتبة مشير

وكان هتلر، قد صم أذنيه عن كل نصيحة المشير فون مانشتاين بسحب الجيش السادس إلى مواقع يمكن الدفاع عنها أفضل، وعندما حل الشتاء بقسوته الروسية، ونجاح السوفيت بتشديد الحصار على الجيش الألماني السادس، وافق هتلر على سحب الجيش وتعديل مواقعه، ولكن الفرصة كانت قد فاتت، وباءت بالفشل محاولات قائد الجيش باولوس، وواصل الدفاع الذي لم يكن يرتجى منه أملاً.

(الصورة : المشير باولوس مشاركاً في تخطيط الحملة على الاتحاد السوفيتي)

ورفض الجنرال باولوس (أمتثالاً لأوامر قيادته) عرضاً سوفيتياً كريماً قدمه الجنرال السوفيتي (روكوسوفسكي) وهو عبقري أستراتيجي، فقد كان هتلر قد أصدر قراره قبل ظهر

(24 / تشرين الأول / 1942) بوجوب صمود الجيش السادس في ستالينغراد رغم تحذيرات الفريق زايتسلر (من أركان القيادة العامة) الذي اختتم مناقشاته العديمة الجدوى مع هتلر بكلمة بليغة :

" انك تريد الاحتفاظ بستالينغراد يا سيدي ولكنك ستفقد ستالينغراد والجيش السادس معاً "

فشن الروس هجمات واسعة على عدة تشكيلات في محاور متعددة، ومنها هجمات عنيفة لإبعاد القطعات الألمانية عن ستالينغراد تمهيداً لفرض الاستسلام أو إبادة الجيش السادس ومن ثم تحقيق هدف أخر هو القضاء على الجناح الجنوبي للتشكيلات الألمانية برمتها.

وفي 8 / كانون الثاني / 1943 أعاد المشير السوفيتي روكوسوفسكي عرضه على الفريق الأول باولوس الاستلام إلا أن القائد الألماني رفض الطلب وواصل القتال، وفي 9 / كانون الثاني / 1943 تلقى باولوس نداءاً من برلين ينبأه بترقيته إلى رتبة المشير وما لبثت أن وصلته (عن طريق الجو) شارات الرتبة وعصا المشير التقليدية (عصا الماريشالية) ، كما منحت رتب لضباط وقادة آخرين، لرفع المعنويات، لحملهم على الصمود، أو الانتحار للتخلص من عار أستسلام قد يلحق بالجيش الألماني. لكن الصمود كان قد أصبح مهمة مستحيلة، وفي اليوم التالي 10/ كانون الثاني /1943 شرع الروس بهجومهم النهائي لتحطيم الجيش السادس في ستالينغراد بعد أن نجحت سبعة جيوش سوفيتية بإحكام الحصار عليها من ثلاث جبهات.

وفي 14 / كانون الثاني / 1943 استولى الجيش السوفيتي 21 على مطار بيتومنك، أهم قاعدة جوية تمون الجيش السادس، وفي 22 / كانون الثاني / 1943 فقد الألمان مطار غومراك أيضا، وبذلك انقطع الاتصال والتموين الجوي مع ألمانيا تماماً، وفي 25 / كانون الثاني /1943 تمكنت تشكيلات سوفيتية من خرق دفاعات الجيش الألماني السادس في ستالينغراد وعزلوا الفيلق 11 في الشمال عن التشكيلات المحاصرة الأخرى.

في 31 /كانون الثاني / 1943 استسلم القسم الأكبر من الجيش السادس للسوفيت ووقع المشير باولوس وثيقة استسلام جيشه للمشير السوفيتي روكوسوفسكي، لكن الفيلق

الألماني 11 واصل القتال بقيادة الفريق شتريكر في أطلال الأحياء الشمالية من المدينة لتوفر مقادير ضئيلة من المؤن (العتاد والأرزاق) ولما نفذت لم يكن هناك حل سوى الاستسلام، حدث ذلك في عصر يوم 2 / شباط / 1943.

أستسلم مع باولوس 91,000 ألف ضابط وجندي، وبأستسلامه أنتهت صفحة ستاينغراد، التي كلفت الجيش الألماني (وحلفاؤه من الإيطاليين والرومان) أكثر من مليون قتيل وأسير. ومضى باولوس في أسر ربما مريح نسبياً، ألتحق خلالها باللجنة الوطنية الألمانية التي شكلها المعارضون للهتلرية وكانت تحظى بدعم موسكو، وقام بأنتقادات لاذعة للنظام الهتلري.

(الصورة : المشير باولوس يتقدم لتسليم نفسه للسوفيت)

قدم المشير باولوس شهادته في محكمة الحلفاء في نورنبيرغ الدولية بعد الحرب، وعاش حياة هادئة في القسم الشرقي من ألمانيا حتى وفاته في 1 / شباط / 1957، أي بعد 14 عاماً من أستسلامه للجيش السوفيتي.

وتطرح سيرة المشير باولوس سؤالاً يصعب الإجابة عليه : هل كان استسلام باولوس للسوفيت عملاً إنسانياً بإنقاذه أرواح 91.000 من الضباط والجنود، أم عملاً يخالف القسم بالقتال حتى الموت. ولكن باولوس الذي كان قد فقد أي أمكانية لمواصلة القتال، لم تعد لديه وسيلة إما الانتحار، (وهو قرار شخصي غير سهل) أو الاستسلام وإنقاذ أرواح عشرات الألوف من العسكريين.

وبتقديرنا أن المشير باولوس قد أرتكب ربما خطيئة بأنظمامه إلى لجنة ألمانيا الحرة، (Nationalkomittee Freies Deutschland) وهو عمل ما ينبغي عليه أن يقدم عليه، فهو جندي غير معنى بالسياسة وما ستؤل إليه الأمور. ومقاتل سلم سيفه، فعليه الألتزام بالصمت . هذا موقف لم يحسم بعد في ألمانيا .....!

في المناقشات التي لا نهاية لها التي جرت، وما تزال تجري بين المؤرخين العسكريين والأختصاصيين، هل أن أمتناع باولوس عن التسليم في وقتها، أو تنفيذ الأنسحاب كا موقفاً صحيحاً، كيف بلغ الحال لوقوع كارثة

ستالينجراد، يلعب فريدريك باولوس دورا رئيسيا. فقد أمتنع تنفيذاً للأوامر في نوفمبر / تشرين الثاني / 1942 عن أغتنام فرصة لأختراق الحصار بأتجاه الغرب.

(الصورة :
كان باولس قد كون سيرته العسكرية من خلال عمله في هيئات الركن، الصورة تشير لزيارة قام بها عام 1941 إلى الفيلق الأفريقي)

(الصورة : كان هتلر يقدر باولوس لأنه لم يكن ينحدر من أسرة ضباط بروسيين)

تجمع خيوط الكارثة ..

عندما اطبقت طرفا الكماشة السوفيتية على الجيش السادس الألماني في ستالينغراد الكبرى في نوفمبر تشرين الثاني عام 1942، أصبح مقر قائدها على بعد 100 كم إلى الغرب في Nizhne-Chirskaya، وهو تقاطع السكك الحديدية على نهر الدون. وبصحبته رئيس أركانه آرثر شميت، وكان فريدريك باولوس كان قد طار إلى هناك لأن مقره الرئيسي تعرض للتهديد في بداية الهجوم الدبابات السوفيتية. ومن خارج الحصار المغلق، كان باولوس يأمل أن يقوم من خلال أتصالات آمنة بالتأثير لوضع خطط استراتيجية جديدة .

لكن هتلر أمر بولوس بالعودة فورا مع شحنة من النبيذ الأحمر والشمبانيا الفاخرة، فعاد قائد الفيلق إلى قواته، وكان خياراً غريباً لشخص كان يخطط لأنسحاب وتعديل الموقف ... اهكذا علق المؤرخ البريطاني أنتوني بيفور في كتابه "حكاية ستالينغراد" .

وفي مناقشات لا نهاية لها، وكيف أدت تسلسل الأحداث إلى كارثة بحجم كارثة ستالينغراد، كان لباولوس دائما الدور الرئيسي. وقد أتفق الكثير من رفاق المهنة(من الضباط القادة)، ولاحقاً الكتاب الأختصاصيين، أن أنسحاباً فورياً للجيش السادس، وكذلك أقسام من الفيلق الرابع المدرع، كان ممكناً مع حساب تقديم خسائر عالية.

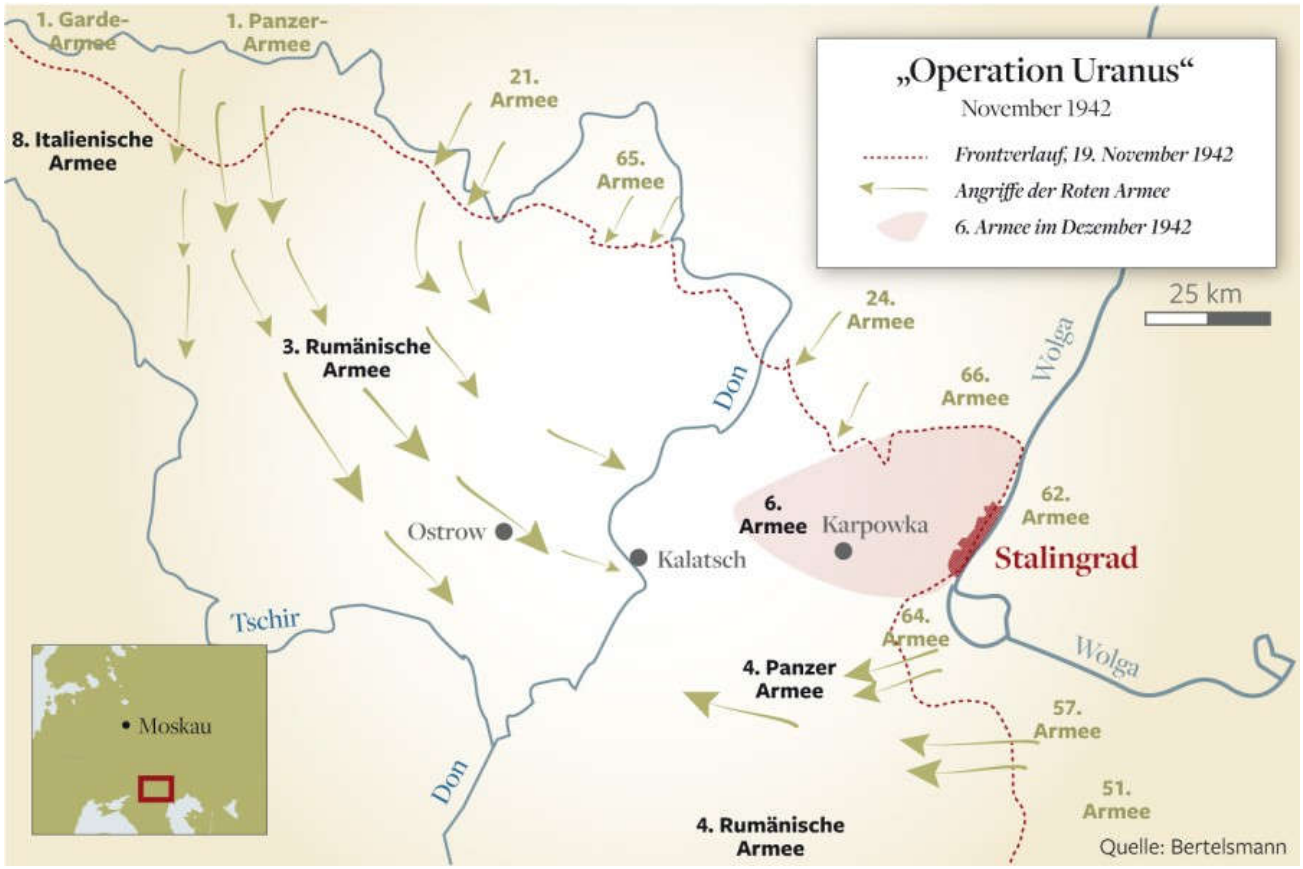

(خارطة تظهر مواقع القطعات الألمانية وحصار الفيلق السادس ومواقع المتحالفين معها من الإيطاليين والرومان، ومواقع السوفيت وتوسع وتقلص الجبهة)

1943 ـ الحسم في ستالينغراد.

وفيما كانت مؤشرات الموقف ومعطياته غير مشجعة بل سيئة، كانت أوامر هتلر بالحفاظ على ستالينغراد، مهما كانت الظروف والأحوال. ولكن جنرالات باولوس كان لهم رأي آخر معاكس، وعلى الرغم من أنهم كانوا يعانون من نقص في العتاد والمحروقات، وأستحالة تموينهم عن طريق الجو.(فعدا عن سقوط كافة المطارات والشقق الأرضية بيد السوفيت،

فإن تموينهم عن طريق الجو بالمظلات كا يبوء بالفشل وسقوط معظم الشحنات بيد السوفيت لقرب المسافات وتداخل القطعات)

وإذا كانت القيادة (كالقنفذ المنكمش على ذاته) ليست في وضع تستطيع فيه متابعة وتنفيذ أوامرها فوراً، عليها أن تقف امام ضميرها، وأمام الجيش والشعب الألماني، وتمنح حرية وخيار التصرف حيال ما يمكن من أمكانية، لتفادي الكارثة.

وفقا لأقواله تجرأ قائد الفيلق المدرع، فالتر فون زايدلت كورتسباخ، للقيام بمحاولة أختراق فشلت على أية حال، وحاول باولوس غطى المحاولة تجاه هتلر وبقيت دون فائدة تذكر. (1)

ومع ذلك فقد بدرت ملاحظة كالتي أدلى بها بها رئيس أركان باوبوس بقوله " لا ينبغي علينا أن نوجع رأس الزعيم (هتلر) والجنرال فون زايدليتس ليس هو القائد العام.

في السابع عشر من م تشرين الثاني 1942، سجل الفريق أول باولوس في دفتر يومياته " أصمدوا، الزعيم سوف يخرجنا من هنا " بمزيج من الطاعة العمياء والاستسلام للقضاء والقدر سلمت قيادة الجيش السادس قدرها ومصير 330,000 رجل يسبرون على أثرها.

وعلى الرغم من أن الجنرال أرفين روميل كان قد عانى من هتلر مثل هذا الموقف في العلمين وولكنه أمر خلافاً لأوامر هتلر بالتراجع، كان بين روميل وباولوس الكثير من القواسم المشتركة. مولودين في 1890 / 1891، ينحدران من أسر موظفين (ليس من أسر اقطاعية عريقة) فوالد كارلوس كان موظف مالية، وكلاهما قاتل في الحرب العالمية الأولى في وحدات جنوب غرب ألمانيا، وأمضيا وقتاً طويلاً في جبهات جبال الألب وخدما بعد الحرب وخلال جمهورية فايمار (بعد سقوط النظام الامبراطوري الملكي) في الجيش الجديد، وفي شتوتغارت (جنوب غرب ألمانيا) خدما في نفس اللواء، ثم درسا معاً في كلية الحرب وأبتدأ مسيرة جديدة في وحدات المدرعات الجديدة.

باولوس وروميل – المفضلين عند هتلر

قبل كل شيء، كلاهما يتشاركان في الإعجاب بهتلر، بخطط إعادة تسليح ألمانيا، وهو ما أتاح لهما البدء بسيرة عسكرية مجيدة، وهتلر الذي أستعاد لألمانيا ما خسرته في الحرب العالمية الأولى ظلماً، وأعجابهما بالزعيم (هتلر) لم يكن أمراً مخفياً. كما أن باولوس وروميل لما يكون ينحدران من عائلات الأرستقراطية العسكرية البروسية، بل أسسوا عائلات ضباط حديثه.، وكسبوا مودة وتشجيع هتلر، وفي غضون ثلاث سنوات تمكن روميل، وباولوس في أربعة سنوات، أن يتقدموا الرتب، من رتبة لواء إلى مشير.

وكذلك المشتركات. ففي معركة ستالينغراد كان الاختلاف بينهما مميت، وبينما كان روميل قد أثبت في الحرب العالمية الأولى جدارته في قيادة وحدات في القتال ونال بسبب مقدرته تلك ، نال وسام الجدارة، فيما كان فردريك باولوس يعمل كضابط في المكاتب (Schreibtischgeneral/ جنرال مكتب) كان عالمه ينحصر في هيئات الركن، وفيها أمضى حتى عام 1940 كنائب لرئيس الأركان فرتز هالدر.

ولكل قائد صفاته الشخصية، ومختلفاً عن روميل الطموح والصلف، تمكن باولوس بحسن خلقه من تحقيق صداقات سهلة، وأحد هؤلاء كان فالتر رايشناو الذي كان خلال غزو الاتحاد السوفيتي يقود الجيش الألماني السادس. وطلب أن يكون باولوس رئيس أركانه.

وكان المشير فون ريشناو أيضاً من المعجبين بهتلر من المدافعين عن فكرة غزو الاتحاد السوفيتي أكتسب سمعة سيئة من خلال الأوامر التي أصدرها لجنوده، " القسوة والشدة في حالة الضرورة ضد اليهود، (مما أعتبر فيما بعد من جرائم الإبادة) ولكن المشير ريشناو توفي خلال نقلة بالطائرة وهو في حالة إصابة بجلطة قلبية بعد أن مارس رياضة الهرولة الصباحية بدرجة حرارة تقل عن 40 تحت الصفر، في مطلع عام 1942.

مخاوف من برزينا (Berezina) جديدة ..! (2)

وجاء رجل هوايته كانت إعادة معارك نابليون، ولك يكن قد قاد طيلة حياته فرقة، أو مجموعة قتال، ويشرفه هتلر بتولى قيادة رأس الحربة في التقدم نحو الجنوب. ولاحقاً بعد أحد عشر شهراً عندما منع عليه هتلر الأنسحاب أو التراجع من ستالينغراد، وأنه سيفعل كل شيئ لمساعده الجيش السادس، لم يعد ذلك الرجل الذي بوسعه أن يتخذ القرارات على مسؤوليته الخاصة ولكي يأمر بالانسحاب.

في مقره، كانت يستعيد ذكريات كارثة نابليون في روسيا قبل 130 عاماً خلت، وبعض من الضباط، كانوا يشبهون باولوس بالجنرال البروسي يورك فون فارتنبيرغ، الذي أقام أتفاقاً مع الروس خلافاً لرغبة وإرادة ملكه، ولكنه أنقذ بذلك قواته، على العكس من باولوس الذي تجادل وتناقش في أنسحاب كارثي على أمل أن تسفر عن كارثة على غرار كارثة نابليون في بيرزينا، ولم يحصل عليه.

غير قادر على العمل على مسؤوليته (هذه فقرة جوهرية في شخصية باولوس)
وهكذا أثبت الفريق أول باولوس مرة أخرى، أنه لم يفهم تعاليم كلاوسفيتز (Clausewitz) وفسر عبور نابليون نهر بيرزينا أنتصار أو ربما يستطيع أن يكررها بالأنسحاب ولكن أيضاً قائد قوات منطقة الدون التي شكلت حديثاً أريش فون مانشتاين، لم يكن بوسعه أن يحدد موقفاً واضحاً حول هذا الأمر، لاحقاً أعلن، " الفيلد مريشال البروسي لا يتمرد " وبهذا أعتمد باولوس هو والعشرين فرقة التي بقيادته وأستسلموا لقدرهم، بأنهم عند حسن ظن هتلر بهم.

ولم يكن بوسع المحاصرين مواساة أنفسهم، وكانوا قد كونوا أنفسهم بالجهد وحياتهم، إلا يتخلون عنها من أجل مسيرة قاتلة عبر السهوب المغطاة بالثلوج مع نتائج غير مؤكدة. وبالآمال والوعود التي كان كان يغدقها هيرمان غورنغ (قائد سلاح الطيران الألماني) بتموين الجيش بواسطة الطائرات أو بقذفها بالمظلات من الجو..

وباولوس هنا قد عبر تماماً عن عدم أقتداره بتحمل المسؤولية، وهذا ما قاده إلى نتائج كارثية مميتة وهو نفسه عبر عن ذلك بقوله" أنا أعلم أن تاريخ الحرب قد أصدر الآن حكمه على ".

هوامش

1 . فون (von) لقب عائلي خاص بالنبلاء

2. وقعت معركة بيريزينا أو بيريسينا (في الفترة من 26-29 تشرين الثاني1812)، بين جيش الفرنسي بقيادة نابليون، خلال أنسحابه بعد تراجعه من موسكو /روسيا وعبوره نهر بيريزينا قرب بوريسوف،(روسيا البيضاء)، والجيوش الروسية تحت قيادة الجنرال كوزنتسوف، انتهت المعركة بنتيجة :. إذ تكبد الفرنسيون خسائر فادحة جدا لكنه تمكن من تحقيق هدفه بالخلاص من كمين وحصار، بعبوره النهر. وتستخدم كلمة بيرزينا كمرادف لكارثة.

3. كلاوسفيتز : (Carl von Clauswietz) جنرال ألماني (1780 - 1831) بروسي له تعاليم استراتيجية سياسية / عسكرية مهمة تدرس في الأكاديميات العسكرية.

سادساً : المشير أرفين روميل

ولد أرفين روميل (Erwin Rommel) منحدراً من أسرة بورجوازية صغيرة (أسرة متوسطة الحال) في بلدة ألمانية صغيرة بالقرب من مدينة شتوتغارت بغرب ألمانيا 15 نوفمبر من عام 1891 والتحق لخدمة الجيش، وفي عام 1910 كان قد تأهل كضابط في وحدات المشاة.

كان روميل قد خدم في الحرب العالمية الأولى (برتبة ملازم أول) في القطعات الألمانية العاملة فرنسا، ثم في رومانيا، وإيطاليا، وأصيب ثلاث مرات، وحصل على وسام الصليب الحديدي، وفضل أن يبقى في ميادين القتال في الوحدات الفعالة على وظائف في الأركان، دون أن يهمل رغبته في مواصلة الدراسات الأكاديمية، حينها أخذ يستخدم خبرته الميدانية القتالية في ممارسة التخطيط للعمليات بل وليبتكر أنواع جديدة من التفكير العسكري، ضمنها في كتابه " هجوم المشاة، الذي نشره عام 1937، فنجح مرتين : كقائد قطعات مقاتلة في الميدان، وكضابط ركن حركات وتخطيط في القيادات وهيئات الركن.

تعرف عام 1928 على زوجته في مدينة دانزنغ الألمانية (اليوم في بولندة) وتزوج منها عام 1916، وأنجبا ولدهما الوحيد مانفرد عام 1928

وفي عام 1938 رقي روميل إلى رتبة عقيد بوظيفة رئيس المعلمين " معلم أقدم " في مدرسة فينرشتات (Theresianische Militärakademie)بالقرب من فيينا (بعد أتحاد النمسا مع ألمانيا) وفي عام 1938 أيضاً ألتقى بجوزيف غوبلز (وزير الدعاية والقيادي في الحزب النازي) وسرعان ما أنعقدت أواصر صداقة بينهما، سياسي يريد الصعود، وضابط كفوء وطموح يريد تسلق سلم القيادات.

وفي بداية الحرب العالمية الثانية(1939/9/1 غزو بولونيا) كان روميل بمنصب قائد حراسة المقر العام، وهذا له مغزاه، فهتلر الذي كان يريد مد نفوذه بلا حدود مستنداً إلى قوة الجيش، فكان يحلو له رؤية المقاتلين الطموحين، والأكفاء، ثم شارك قي الغزو الألماني لبولونيا فنجح فيها أيما نجاح، وفي عام 1940 تولى قيادة تشكيل مدرع وساهم في غزو بلجيكا وفرنسا، وكان أسمه بين البارزين فيها.

وقبول شخصية روميل الطموحة لدى أوساط قيادة النازي لترشيحه لوظائف مرموقة، لم تكن لتمر بسهولة، إذ أثارت امتعاض في أوساط ضباط القيادات الأركان في الجيش الألماني ذات التقاليد العريقة، لا سيما في مجال إسناد قيادة قطعات مدرعة لروميل، لأفتقاره لمثل هذه الخبرات، ولكن ذكاؤه وعبقريته تجلت في حل مشكلات صادفت القوات الألمانية في الميدان، **كانت تبرز قدراته غير الاعتيادية، تجلت في معارك بلجيكا وفرنسا، وهنا فرضت كفائته وقدراته القيادية نفسها، إلى جانب جموح شخصيته القوية كالعاصفة، التي لم تكن ليقف أمامها شيئ،** أين منها شخصية المشير باولوس الهادئة البالغة التهذيب، يتحدث بصوت خفيض وأحترام جم لمن يقابله أو يعمل معه.

وكان هتلر قد أوكل لروميل قيادة الفرقة المدرعة (البانزر) السابعة في شباط / فبراير / 1940، أي ببضعة شهور قبل غزو فرنسا وهولندة، وهو ما أثار سخط القيادات العسكرية التقليدية التي كانت ترشحه لقيادة قطعات جبلية.

وبرزت مقدرته القيادية من خلال مبادراته الشخصية التي تدل على تصرفه القوي في حل معضلات الميدان، وإذا كانت هذه تصرفات غير مألوفة، إلا أنها بدت لهتلر أنها مثالية لضابط ألماني يتصرف بمبادرات شجاعة وبشخصية قيادة لا تقبل الجدال.

ودقت ساعة روميل ليبرز ويسطع نجمه وفي عام 1941 عندما قرر هتلر دعم موقف القوات الإيطالية المتراجعة أمام الإنكليز في شمال أفريقيا، وجد في روميل الشخصية المثالية لينقذ الموقف المنهار تقريباً، فأوفده إلى شمال أفريقيا مع قطعات أطلق عليها " الفيلق الأفريقي "، وتمكن روميل فعلاً من إيقاف سريع للتدهور، ومع أولى الأنتصارات التي أحرزها رقي روميل إلى رتبة الفيلد مارشال " مشير " .

وبلغت انتصارات روميل المتلاحقة، وخططة الغريبة غير المسبوقة، درجة من القوة والنجاح، بحيث كانت تصيب أعداؤه بالذعر، ومع توالي تلك الانتصارات التي تواصلت حتى دخول الأراضي المصرية، (العلمين، إحدى مدن محافظة مرسي مطروح، التي لا تبعد عن الاسكندرية سوى 106 كم فقط) إلا أن القوات الإنكليزية التي كان يقودها مونتغمري، كانت تتلقى دعماً سخياً بالأفراد والمعدات، مقابل النقص الحاد بالمعدات والذخائر، وخاصة بالوقود الضروري لحركة القطعات المدرعة في الصحراء.

ولا يمكن فهم تراجع روميل بعد أنتصاراته، إلا للنقص الحاد في العتاد (الوقود، والأسلحة والعتاد) وفي الأفراد، وبسبب نشاط البحرية البريطانية وسلاحها الجوي أدى إلى تفوق في البحر المتوسط، وكان هذا التفوق يعترض الكثير مما ترسله القيادة العامة لبرلين كتموين لقطعات الفيلق الأفريقي،

فتغرقها، أو تعترضها جواً، ولعبت القاعدة البريطانية في مالطا دوراً محورياً في هذا الجهد. وكان بوسع الألمان التعرض للقاعدة البريطانية في مالطا، وأحتلالها أو تقليص دورها لا سيما أنه ليست بعيدة عن الأراضي الإيطالية.

لذلك، حصلت القوات الإنكليزية على تفوق جوي مطلق في الطيران، وتفوق هائل في الأفراد بلغ 1 إلى 2 أو حتى 3 أضعاف، آنذاك بدأت نجاحات روميل تتراجع، ولكن دون أن يلومه أحد، لا من القيادات الألمانية ولا من المؤرخين، لذلك خسر معركة العلمين (مارس / 1943) التي كانت ستفتح أبواب الأسكندرية أمام القطعات الألمانية لو قدر لها النجاح، ومع كل هذه المعطيات السلبية في موقف العتاد والرجال، تمكن روميل بعبقريته من القيام بمناورات ومن خلال أعمالاً وتصرفات مثالية لقائد يقاتل في ظروف صعبة، رغم اضطراره للتراجع بعد أن كان قد أرغم القوات الإنكليزية على التراجع من طبرق (داخل الحدود الليبية) حتى العلمين (داخل الحدود المصرية)، ولم تنجح مساعي عديدة للإنكليز من خلال إرسال دوريات حاولت دون نجاح بأغتياله.

وعندما ساء موقف الفيلق الأفريقي الألماني بدرجة بات فيها مستقبل الفيلق الأفريقي وأهدافه موضع شك، أمر هتلر بإعادته إلى ألمانيا، وتواصل لاحقاً سوء الموقف في شمال أفريقيا بعدها لدرجة أن أنهت بريطانيا ومعها الولايات المتحدة (بعد إنزالها في المغرب والجزائر اللتان كانتا تحت حكم فرنسا / فيشي) صفحة معارك شمال أفريقيا، بأستسلام بقايا القوات الألمانية والإيطالية في هذه الجبهة.

ويعتقد بعض المؤرخين العسكريين أن هتلر لم يكن يولي جبهة شمال أفريقيا الأهتمام اللازم، أو بالأحرى، أن الجبهة الشرقية مع الأتحاد السوفيتي كانت كدار فناء للقدرات الألمانية تلتهم دون توقف كبرميل بلا قعر، التي لو توفر شيئ منها للفيلق الأفريقي، لربما كان تمكن من أجتياح مصر، والعبور إلى شرقي قناة السويس إلى فلسطين وسوريا وسائر الشرق الأوسط، حيث كان النفوذ البريطاني ضعيفاً، ويحضون بكراهية السكان، ولربما كانت مجريات الأحداث قد تغيرت بدرجة ليست بسيطة.

لكن هتلر كان مأخوذاً بفكرة الزحف شرقاً (Drangen nach Osten) وهي فكرة أستراتيجية ألمانيا بشر بها أحد المفكرين الاستراتيجيين الألمان وهو (Karl Haushofer) كارل هاوسهوفر، كان هنلر شخصياً معجب يها، وسائر قيادات حزب النازي. وكان نجل هذا المفكر (وهو عسكري بالأصل) أولبرشت هاوزهوفر (Albercht Haushofer) مفكراً أستراتيجياً كوالده ومن أهم أعوان هتلر ممن يؤيدون نظرية الزحف نحو الشرق، ويضعونها تحت إطار ستراتيجية ألمانية تقليدية " المجال الحيوي " (Lebensraum) إلا أن البرشت هاوزهوفر أدين بالأشتراك بمحاولة أغتيال هتلر والأنقلاب العسكري في حزيران / 1944 وحكم عليه بالاعدام.

بعد عودة روميل إلى ألمانيا، عين في إيطاليا أولاً، ثم في الجبهة الغربية، وكان قد تنبأ بمكان الإنزال المرتقب لقوات الحلفاء في النورماندي. وقبل الإنزال في 6 / حزيران / 1944

تعرض روميل لخطر مميت حين قامت طائرة تابعة للحلفاء بإطلاق النيران عليه خلال سيرها على الطريق، ولكنه افلت من الموت بجرح بسيط.

وكانت نظريته عن إنزال الحلفاء المتوقع، تتلخص بأن الخط الثاني عليه أن يعمل على دفع قوات العدو (الحلفاء) إلى البحر، وكل شيئ يعتمد على قدرة القوات التي تدافع عن الشاطئ. وذلك بإنشاء خطوط دفاعية محكمة، ومقولته أن اليوم الأول للمعركة هو الذي سيحدد نتائجها.

في المؤامرة على حياة هتلر التي قام بها بعض الجنرالات، ونفذها العقيد كلاوس شتاوفينبرغ ونجا هتلر بأعجوبة، جرت بعدها تحقيقات وتصفيات، وتردد أن أسم روميل قد جاء على أساس أنه سيمنح تأييده للأنقلاب بعد نجاحه، وهكذا قرر هتلر نهاية هذا القائد بأن خيرة بين المحاكمة، ومواجهة عار خيانة القسم، أو الأنتحار، ففضل روميل الأنتحار مع الحفاظ بشرفه العسكري وإجراء جنازة عسكرية له، بتناوله جرعة من سم السيانيد في 14 / أكتوبر / 1944.

روميل له قيمة سياسية ووطنية تختلف عن تقيمه كضابط وكقائد عسكري، إذ يرى البعض أن مواقفه من هتلر كانت متذبذبة وموالية له، ولم يبدأ بالتحول إلا بعد أن أصبحت النهاية وشيكة، وبالرغم ذلك لا أحد يصدر قراراً نهائياً سلبياً بحق هذا الضابط، ولكنه لا يحظى بالتكريم الذي يحضى به العقيد شتاونبيرغ الذ أعدم ببطولة ويحي الجيش الألماني ذكراه سنوياً، وله قبر لائق، وهناك شوارع كثيرة في ألمانيا تسمى بأسمه.

أرفين روميل : ثعلب الصحراء بطل " الجيش النظيف "

لم يكن روميل أكثر الجنرالات الألمان في الحرب العالمية الثانية محبوبا لدى الناس فقط، بل وقائداً عسكرياً معترفا به على الصعيد العالمي. ويدرس الأن في معهد في شتوتغارت " أسطورة روميل " بل وترجم الكتاب إلى اللغة العبرية.

وإذا كان توم كرويز (الممثل الأمريكي) الذي مثل دور العقيد كلاوس فون شتاوفنبيرغ، في فلمه (عملية فالكيور ـ محاولة الانقلاب على هتلر حزيران / 1944) عرض في بداية الفلم، أنه (شتاوفنبيرغ) قد تعرض لإصابة بجرح خطير خلال هجوم جوي للحلفاء خلال عمليات فيلق أفريقيا في تونس، بأنه لم يكن فقط يمثل السبب الدرامي بسبب فقدانه إحدى عينيه وذراعه، ولكن الفلم كان يحمل إشارة أخرى، أن العقيد شتاوفنبرغ الذي نفذ محاولة أغتيال هتلر، كان ضابطاً في الفيلق الأفريقي الذي كان الجنرال روميل يقوده.

وعنه تحدث أيضاً رئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل : "انه يستحق أيضا احترامنا لأنه، على الرغم من أنه كان جندياً المانياً مخلصاً، وقابل أفعال هتلر عندما تعرف على حقيقتها بالكراهية، شارك في المؤامرة في عام 1944 لأنقاذ ألمانيا من إزالة طاغية مجنون. وانه دفع ثمن ذلك حياته ".

أروفن روميل (1891-1944) لم يكن فقط الجنرال الألماني الأكثر شعبية في الحرب العالمية الثانية، بل هو يعد واحد من أكثر القادة العسكريين الأكثر شهرة في جميع أنحاء العالم. وهذا ليس فقط بسبب مهارته الاستراتيجية وشجاعته الشخصية، حتى في مواقفه مع هتلر لم يكن أساسيا بل أحتياطياً، ثم متناقضاً حيال النظام النازي.

ولكن قبل كل شيء كان روميل في مطلع الأربعينات أسطورة في أوساط قيادة الجيش البريطاني، ومحترماً لدى جنوده، كان قد حذر بالفعل من غوبلز وآلته الدعائية، قائد الدبابات هذا السوابي(سوابن أسم منطقة تضم منطقة قي جنوب غرب ألمانيا) القادم من شتوتغارت، الذي أصبح رمزاً للفرسان في الجيش الألماني. وتتواصل هذه الصورة المشرقة لهذا القائد ليس فقط عند الألمان، بل وحتى عند الإنكليز والأمريكان حتى عصرنا الحالي. والأسطورة، بوسعك أن تشعر بها بعد خلال وبعد زيارة في المعرض الذي يضم بعض من آثار المشير روميل.

وبفضل الأبن الوحيد لروميل (مانفرد روميل مواليد 1928)، الذي أصبح لاحقاً عمدة لمدينة شتوتغارت في ولاية بادن فوتمبيرغ، والذي دعم فكرة إقامة المعرض لوالده، صار ممكناً عرض الكثير من الأشياء علناً، من خلال سعي المعرض إلى تحسين صورة روميل حيال الانتقادات التي وجهت له.

روميل لا يخضع لأي نموذج

" وشخصية روميل لا يمكن قياسها علي أي نموذج (كليشه)، بل هو أصبح بذاته نموذجاً أبان الحكم النازي. وربما لما بعد النازي أيضاً " . يرى مدير متحف شتوتغارت توماس شنابل، كما تعرض صحيفة "الرايخ الثاث" عام 1941. وفيه عرض روميل بوصفه أحد رجال الحزب النازي منذ البداية، على أنه كان أبناً لأحد عمال البناء. وحتى إذا كانت هذه المعلومات غير دقيقة ومسيئة لصورته العامة، فستكون الإجابة : حتى إذا كان ذلك غير صحيح، لكن الأمر تم تأييده. عندما صدرت صحيفة "الرايخ الثالث" تؤكد الخبر.

الحكاية مضت بعيداً لتقتحم صميم خصوصيات روميل وشخصيته، فهو لم يكن ليخشى شيئاً حتى لو كانت حقيقة فعلاً، ولن تحيل دون إنجازاته وكانت هناك مساع من تطرح بشأن شخصه التحفظات.

كملازم أول، قاد هجوماً في عام 1917 المعركة الثانية عشر في إيزونزو (Isonzo) ضد القوات الصدمة الإيطالية في منطقة يوليان في جبال الألب، رشح على أثره لنيل وسام الاستحقاق (Pour le Merite). وعندما رشح ضابط آخر هذا الوسام من قبل الامبراطور، احتج روميل بصوت عال على هذا الترشيح، وحصل على هذا الوسام الألماني الرفيع.

على الرغم من انه في وقت لاحق كرس روميل خبراته في الحرب العالمية الأولى كمدير مدرسة المشاة في بوتسدام (بالقرب من برلين) وألف كتاباً بعنوان : "هجوم المشاة" (Infanterie greifen an) طبع منه أكثر من 700,000 نسخة، أعتبرت من الكتب الكلاسيكية في تعليم الضباط المرشحين، بل وصدرت منها طبعة باللغة العبرية، على الرغم أنه أعتبر كمدرس مشاة، أبتدأ روميل يبدي إعجابه بسلاح الدبابات، **ولم يحصل على تدريب الضباط الأركان لتهيئة القادة كما هو معتاد.**

بورجوازي، غير تقليدي (غير متزمت)، بالإضافة لأمتلاكه تجارب حرب عالمية، ربما كانت المواصفات لشخص لديه طموح ويسعى للتقدم، وهو ما كان هتلر ينشده ويريده، وخلال أحتلال بقية تشيكوسلوفاكيا (أحتلت تشيكوسلوفاكيا على مرحلتين: الأولى بأحتلال الأجزاء الألمانية منها " منطقة السوديت"، والثانية أحتلت فيها بقية البلاد)، وكان روميل خلال عملية بولونيا، قائداً للمقر العام وأغتنم هذه الفرصة بالترقية إلى رتبة لواء، والأمر من هتلر بتولي قيادة فرقة مدرعات تأسست حديثاً، ودورة في الحرب الصاعقة (Blizkrieg) في الجبهة الغربية عام 1940 أطلقت شهرته في كل الأوساط. ومن موقعه هذا(كقائد فرقة مدرعات) كان يقود قواته بزخم قوي ومتواصل، وتجاهل لقواعد الخدمة ضد العدو، أمما دى إلى أنهيار هذه الجبهة في الآردين خلال بضعة أيام فحسب، لتقع في قبضته.

الفرقة المدرعة السابعة

كـ "فرقة أشباح" جعل روميل من فرقة الدبابات السابعة التي يقودها، من أشهر الفرق وبها أيضاً أصبح روميل من أكثر الجنرالات شهرة في الجيش الألماني، والدعاية فعلت ما يلزم

لجعل هذا الرجل المنحدر من أسرة بورجوازية متوسطة من منطقة سوابن (جنوب غرب ألمانيا) بطلاً وطنياً في صورة فيها شيئ من الغرور والتعبير عن الذات.

وعلى الضد من إرادة الجنرالات القدامي في الجيش الألماني (الذين يعتقدون أن روميل على الرغم من نجاحه في القيادة الميدانية، إلا لم يكن قد نال حظاً وافراً من الدراسة، كما أنه لا ينتمي لعائلة من النبلاء)، وضع هتلر في مطلع عام 1941 روميل بوصفه الجنرال المحبب له على رأس للفيلق الألماني في شمال أفريقيا قائداً.

تمكن روميل بسرعة خارقة من أن يخلق تماسكاً في الجبهة الإيطالية المنهارة هناك في ليبيا، وكانت هذه مهمة العمر بالنسبة له، ففي غضون أسابيع قليلة أستعاد التوازن في الجبهة ومن ثم أنتقل إلى التفوق. وأجرى روميل مناورات رائعة طوق بها عدة مراكز قيادة، وكان يتصرف بفروسية، فبينما كان كان الجيش الألماني يخوض حروب إبادة في الشرق، كانت الأطراف المتحاربة في شمال أفريقيا تتقاتل وكأنها صراع بين قوى ينطوي على نزاهة في القتال. وقامت الدعاية الألمانية بتمجيد " ثعلب الصحراء " في معطفه الجلدي مع منظار مكبر ونظارة واقية من الرمال، منتصباً في عربة القيادة المصفحة يصدر الأوامر، جعلت منه نجماً إعلامياً ليس فقط لأنه يحقق نجاحات مذهلة، بل لأنه كان يتفادى تقديم خسائر ومشاهد العنف مما كان يدور على الجبهة الغربية، والمصادر الألمانية الحديثة تريد التأكيد هنا أن : القتال في جبهة أفريقيا كان يدور بين جيوش غربية وعلى أراض بالنسبة لكلاهما أجنبية، لذلك كان القتال يتسم بشيئ من مبادئ الفروسية.

ساحر الصحراء

وحتى الصحافة البريطانية كانت معجبة "بساحر الصحراء"، لأسباب من تلك أن روميل كاد أن ينجح في هجومه على العلمين 1942 لولا النقص الحاد في المؤن والعتاد (بلغ 1/ 2، أو 1/ 3 في بعض الفقرات، وفي الواقع فإن الهجوم العسكري البريطاني الذي نجح رغم كثافته لم يكن بدون مساعدة أمريكية.

بعد الفيلق الأفريقي، عندما أستخدم المشير روميل في مهمة جديدة في واجب الدفاع عن السواحل الإيطالية أولاً، ومن ثم عن الخط الدفاعي " جدار الأطلسي " (Atlantic Wall) في السواحل الفرنسية، أظهر كفاءة وجدية، أشاد بها جوزف غوبلز (وزير الدعاية الألماني) بروميل من أجل إعلاء سمعة وأمجاد روميل في الوطن، في إطار سياسة كان الحزب النازي يتبعها بحجب الحقائق عن الجمهور، أو تضليله.

وبعد غزو الحلفاء وإنزالهم في النورماندي أدرك روميل في هذا الوقت أن ألمانيا قد خسرت الحرب، وهنا أظهر الشجاعة أيضاً عندما طالب هتلر شخصياً بإنهاء الحرب، ولكنه لم يكن على صلة مع الجماعة العسكرية التي حاولت الأنقلاب على هتلر. وبعد 20/ تموز / 1944 (محاولة الانقلاب الفاشلة) خير بين المثول أمام المحكمة التي أدانت الانقلابيين، أو الأنتحار، فأختار أن يموت منتحراً بتناول سم السيانيد، من أجل حماية وتجنيب أسرته من عواقب الإدانة أمام المحكمة. ولم تعترض الدولة على إقامة تشييع رسمي لرجل كان يعد بطلاً وطنياً في نظر الشعب.

ومن بين ركام من المؤلفات عن الحرب العالمية الثانية، والتي قلما تنطوي على الجديد من المعلومات، كان الجديد فيها، هي المقابلة الصحفية التي أدلى بها الوزير شبير (وزير الصناعة العسكرية) وأحد المقربين لهتلر، قال أن هتلر حاول جاهداً أن يقنع اليابانيين بعد مقاتلة الأمريكان في الباسفيك، بل بزج قواهم ضد الأتحاد السوفيتي، وأنه كان يتلهف لسماع أنباء بهذا الأتجاه، وأحبط بشدة حين أبتدأت الحرب اليابانية ـ الأمريكية بهجوم بيرل هابر (7 / أيلول ـ ديسبمبر / 1941) وأدرك أنه خسر الحرب.

وعلى الرغم من أنه كان مفتوناً بهتلر في بداية صعوده، ضمن أعتقاد شاع بين بعض الضباط والقادة، لاعتقادهم بأن الأوضاع الألمانية بحاجة إلى ديكتاتور لقيادة الشعب والجيش نحو التخلص من آثار معاهدة فرساي، وإعادة عظمة الإمبراطورية إلى ألمانيا، أكثر مما هو إيمان حقيقي بالحزب النازي. ولذلك لا توجد اليوم هناك معسكرات أو سفن أو شوارع في جمهورية ألمانيا الاتحادية تحمل اليوم أسم أرفين روميل، ولكن هذا لم يمنع أن وضعت عنه أفلام أنتجت في هوليود مثل أحدها الممثل هنري هاثواي (Henry Hathaway):

وبسمعة روميل في خوض "معارك نظيفة" في خلق صورة الجيش الألماني النظيف، ساهمت هوليود بذلك في صناعة فلم " روميل .. ثعلب الصحراء" الذي أنتج عام 1952 ومثله هنري لصناعة بطل ذو شعبية وسمعة نظيفة، وفلم بنفس الأسم من الأفلام الشهيرة عالمياً للعميد البريطاني ديزموند يونغ (Desmond Young) حازت نجاحاً واسعاً ليس في ألمانيا فقط.

وفي نهاية هذا الفلم يقف بطل الفلم جيمس ماسون (James Mason) في مدرعة ويمضي عبر الصحراء في صورة تمجد البطل. إلا لأن الحقيقة الكاملة تشير أنه خدم نظاماً نازياً، وفي الإشارة المثيرة تختفي لقطة الكاميرا هذه الهالة.

"ثعلب الصحراء" اروين روميل – جنرال هتلر المفضل

قال عنه الإنكليز عنه أنه يمارس حرب الدبابات بالخدع، الفرنسيين قالوا عنه، أنه يقود وحدات دبابات من الأشباح في حرب هجومية صاعقة.

في الحقيقة فإن رومل سواء للأعداء أو الأصدقاء فهو عبقري أستراتيجي، ومثل الشخصية الأقوى في الدعاية النازية، ولكن فيما بعد أتهم بخيانة القسم وبالخيانة.

الجمعة : 11 / حزيران / 1910

عندما حاول اللواء ارفين روميل بذل جهوده في أكتوبر 1939 لتولي قيادة فرقة مدرعة، كان رئيس دائرة الضباط في الجيش يعتبره مناسباً أكثر لقيادة وحدات جبلية. وفي صفوف قوات جبلية كانت له تجربته الناجحة في الحرب العالمية الأولى، وهذا الجنرال الذي كان قد حصل على ميداليات في الحروب الجبلية يحلم الآن بقيادة الدبابات، التي بها سيتمكن من تحقيق رؤيته الحديثة للحرب المتحركة (على عكس القتال من الخنادق في الحرب العالمية الأولى، وطموحه تحول إلى أمر صدر في شباط / 1940 من الزعيم هتلر بتولي قيادة

الفرقة المدرعة السابعة. وكانت هذه الفرقة من وحدات النخبة في الجيش الألماني في ذلك الوقت.

في وداعه لمنصبه في مقر قيادة هتلر، أهداه هتلر نسخة من مؤلفه " كفاحي " مع كلمات إهداء " السيد الجنرال روميل، لذكرى الصداقة .... هتلر " . وبعد شهرين كتب رومل إلى زوجته، لوسيا ماريا، " نعم، لو لم يكن عندنا هذا القائد، لا أدري فيما إذا كان بوسع رجل ألماني آخر أن تكون لديه ذات القدرة في السياسة والفن العسكري بذات الدرجة من العبقرية ". والإعجاب كان متبادلاً وكان رومل يعتبر من جنرالات هتلر المفضلين، وله الفضل في صعوده، وبنفس الوقت كان لوزير الدعاية غوبلز فضل في هذا الصعود.

وقد عرف باسم "ثعلب الصحراء"، في انكلترا والولايات المتحدة ومن بين أشهر الألمان بعد هتلر. ويلقى الاحترام حتى عند أشد خصوم ألمانيا الهتلرية كرئيس الوزراء ونستون تشرشل قال في كانون الثاني 1942 في مجلس النواب البريطاني " نحن نتعامل مع خصم ذكي جداً وعبقري وجرئ، بل أستطيع القول مع جنرال عظيم ".

هذا كان الذي ولد في 15 / تشرين الثاني / 1891 في بلدة هايدن هايم في جنوب غرب ألمانيا كثاني طفل من بين أربعة أطفال رزق بهم السيد رومل مدرس الثانوية. الذي كان أباً صارماً في تربيته لأولاده، في تربية ما كان ليكون منها هذا الطفل إلا معلماً أو ضابطاً، وهكذا تقدم خريج الثانوية عام 1910 للخدمة في الجيش. وفي شهادته التي نالها بعد الدراسة والتدريب في دورة الضباط في المدرسة الحربية الملكية في دانزنغ (اليوم غدانزغ في بولونيا) لم ينل سوى علامات " متوسط " أو " يصلح للخدمة العسكرية ".

أما مجده كضابط وكمحارب، فقد ناله فيما بعد في الحرب العالمية الأولى، في أكتوبر 1917 في معركة إيزونزو (Isonzo) الثانية عشر عندما أسرعت القوات الألمانية لمساعدة النمساويين ضد الإيطاليين، وعند احتلال جبل ماتايور (Matajur) أشتبك الملازم أول روميل مع جنوده في قتال لمدة 52 ساعة دون توقف متقدماً متقدماً لمسافة 18 كم (كخط

نظر) في مرتفعات تبلغ أرتفاعها 1400 متر كانت حقاً تمثل شجاعة وجرأة، كان فيها الملازم أول روميل مثالاً للشجاعة والجرأة لجنوده وفي أستعداده للتضحية، وجعلت منه بطلاً شعبياً، وهكذا فهو دائماً في المقدمة مع جنوده: روميل في الجبهة، وحيث يكون روميل، تكون الجبهة. وفي نفس الوقت أعتبر روميل براغماتياً، إذ كان بطبعه موفراً، مجتهداً وكأي سوابي (نسبة لمنطقة السوابن) ذو حس عملي، هكذا أعتبره دافيد فريزر أحد الكتاب البريطانيين لسيرته.

سجل روميل تجاربه في الحرب العالمية الأولى في كتاب " المشاة تهاجم " صدر عام 1937، واعتبر وقتئذ من الكتب الأكثر رواجاً، وأعجب هتلر بالكتاب، وجعلت من روميل في خريف عام 1938قائداً للمقر العام (مقر هتلر) أبان احتلال هتلر لأراضي السوديت (مقاطعة ألمانية في تشيكوسلوفاكيا).

(الصورة : هتلر يستقبل رومل أيام الود)

وبعد أن رقي روميل إلى رتبة جنرال، فترة قصيرة قبل الشروع بعملية احتلال بولونيا، كتب إلى زوجته لوسيا يقول " أنه حقاً لشيئ رائع، أن عندنا مثل هذا الرجل ". وكانت لوسيا روميل (زوجته) من أنصار هتلر المتعصبين من دانزيغ وهي كانت توافقه في الرأي تماماً فهي التي كانت تسأل الضيوف والأصدقاء " هل تصلون أنتم أيضاً كل ليلة لقائدنا ؟ ".

وقد نال روميل شرف الجلوس عند تناول طعام الغداء بجانب الزعيم "هتلر"،" لقد سنحت لي الفرصة لأجلس بجانبه لمدة ساعتين ونتحدث حول المشكلات العسكرية " يكتب روميل ""كان ودياً ولطيفاً معي فوق العادة ". هتلر وروميل يجدان في القطعات المدرعة والقوات الجوية أسلحة الأحدث والأكثر فاعلية في قيادة الحروب الحديثة.

رومل الذي كان عالمه يتألف من ساحات عرض ومعارك لم يكن يفهم أن الحرب حسب تعاليم المفكر العسكري البروسي كارل كلاوسفيتز هي مواصلة للعمل السياسي بوسائل أخرى. وكانت تصوراته السياسية ساذجة، فكتب عن وارسو التي دمرها الجيش الألماني " إن السكان يتنفسون الصعداء، ويبتهلون لأننا جئنا وحررناهم ".

ومثلت الحملة على فرنسا حجر الزاوية في تكوين أسطورة روميل في ربيع عام 1940. وكان دائما على رأس قطعاته المتقدمة الفرقة المدرعة السابعة عن سائر القادة متقدماً بسرعة وكان الفرنسيون يخشون فرقته ويرون أنه فرقة من الأشباح وغالباً ما كان الأصدقاء (وحداتنا) ولا الأعداء يعلمون أين يتواجد روميل ورجاله . بعد أحد عشر يوماً من الحملة، وصلت الدبابات الألمانية، في 21 / أيار / 1940 إلى القنال الإنكليزي، وأشر هتلر بمشاعره وفرحه إذ كتب إلى الجنرال الفريد يودل قائد العمليات في الأركان العامة قائلاً" إنها لفرحة كبيرة ".

(كأن لسان حال هتلر يقول لجنرالات الأركان العامة، الكلاسيكيون منهم، والنازيون: هاكم انظروا إلى جنرالي كيف يجعل الدبابات تطير ويطبق مبادئ الحرب الصاعقة، وينتصر

دون أن يحتاج إلا إلى 11 يوماً فقط، أين منها حرب الخنادق الكئيبة في فردان والسوم (في الحرب العالمية الأولى)، حيث غرقت جيوشنا في الوحل، وخسر ماريشالاتنا الحرب ونحن في الأرض الفرنسية ..!)

ونال روميل في قيادته الجريئة الرائع، لعمليات فرنسا الشهرة، وحصل على وسام الصليب وفارس. وفي العام التالي دعاه هتلر إلى مقر المستشارية في مارس ـ آذار / 1941. وسجل غوبلز وزير الدعابة ملاحظته في يومياته" وعندما يحضى بمقابلة الزعيم، ينال الجنرال روميل وسام ورقة البلوط. " ضابط رائع " بوصف كهذا تنصح غوبلز وزير الدعاية القيادة العسكرية ليتخذوا من روميل بطلاً للشعب الألماني.. في هذا الوقت كان يعمل روميل مع حلفاؤه الإيطاليين في شمال أفريقيا في واجب مثل ذروة محبة الجمهور له.

وكان الديكتاتور موسوليني قد اتخذ من المستعمرة (ليبيا) منطلقاً لهجمات خاضها ضد الإنكليز الموجودين في مصر والمدعومين من النظام الملكي آنذاك. وبالرغم من عددهم (الإنكليز) القليل، فإنهم أستطاعوا أغادة الإيطاليين إلى الخلف. عندها قرر هتلر إرسال رومل لدعم موقف الإيطاليين في افريقيا وصفه هتلر " إنه جنرال المدرعات الأكثر جرأة لدينا في الجيش الألماني ".

وفي 12 / شباط ـ فبراير / 1941 وصل رومل إلى طرابلس في ليبيا وفي خطاب الترحيب بقواته، جعل الدبابات تمر من أمام المنصة عدة مرات لكي يخدع جواسيس الإنكليز عن عدد الدبابات في قوته، وفيما بعد طلب من فولكسفاغن وشركات السيارات أن يصنعوا له هياكل خشبية تشبه الدبابات، ومثل هذه التاكتيكات جلبت له تسمية " ثعلب الصحراء ".

أسطورة رومل: وفاة "ثعلب الصحراء"

بعد أربعون يوماً من وصوله إلى أفريقيا (طرابلس / ليبيا) والجزء الأكبر من قواته لم تكن قد نزلت في طرابلس، مضة يخطط وينفذ الهجمات،وأستعاد برقة، التي تضم قاعدة طبرق، وفي غضون ثلاثة أسابيع كان قد دفع بقواته (الفيلق الأفريقي) 800 كم إلى الشرق بأتجاه الحدود المصرية.

وهنا بذل موظفوا وزارة الدعاية جهودهم، في وضع أبعاد أسطورة روميل بوصفه أبناً لأحد العمال، وعضو مبكر في الحزب النازي (وهو ما لم يكنه). غوبلز رأى أنه بفضل روميل وأنباؤه السارة، تعويضاً عن أخبار الجبهة الشرقية (مع الاتحاد السوفيتي)، حيث الحرب الصاعقة هناك تواجه الفشل، وفي البلاد بدأت الناس تستعيد ذكريات المراحل الأخيرة قبل نهاية الحرب العالمية الأولى، وكان كل شيئ يقوم به روميل محبوبا لهتلر، تتصاعد الكراهية لدى القادة الآخرين، مثل: رئيس أركان الجيش الفريق أول فرانز فون هالدر الذي أطلق عليه خلال حمل فرنسا "الجنرال الذي مسه الجنون" .

بعد أن غزا رومل بقواته حصون طبرق في يونيو 1942 وأحتلها، أصدر هتلر أمراً بترقية روميل الذي كان في الخمسين من عمره إلى رتبة مشير (فيلد مارشال) وبذلك كان أصغر ماريشال في الجيش. وأخيراً وليس آخراً، ومن أجل إيجاد التبرير لهزائهم عمد الإنكليز إلى تعظيم روميل فوصفه تشرشل "قائد حرب عظيم"والصحافة البريطانية أشادت بلا كلل أو ملل " بقدراته العلمية في فن الحرب".

دون ريب فإن رومل تكتيكي لامع، ولكنه على المدي البعيد لا يمكنه المطاولة إذا واجه النقص بالذخائر والمعدات والأفراد. ففي نهاية عام 1941 قذف الإنكليز بالفيلق الأفريقي إلى مواقعه الأصلية. ومع أن روميل أستعاد هذه المواقع، وأعاد الإنكليز إلى العلمين (حوالي 100 كم عن الأسكندرية)، ولكنه في صيف عام 1942 حاول (روميل) مرتين أختراق مواقعهم، ولكنه مساعيه تلك لم تنجح.

وفي 2 / تشرين الثاني ـ نوفمبر / 1942 تمكن الجنرال البريطاني مونتغمري أن يخترق الخطوط الألمانية وحلفائهم الإيطاليين، ولكنه لم يتمكن من ذلك، إلا بضعف ما لدى الفيلق الألماني الأفريقي من الجنود والدبابات، وأذق الهزيمة لرومل، و في هذا اليوم أيضاً تحطم الود بين هتلر ورومل.
ولما أدرك روميل أن مونتغمري يهدف إلى مواصلة التقدم والأختراق، ولم تكن لديه سوى 35 دبابة، أبلغ أنه يريد الأنسحاب، ولكن هتلر لم يكن ليوافق على ذلك، وأعطى أوامره بالصمود، " قواتكم ليس لها طريق آخر سوى النصر، أو الموت " . أطاع روميل الأمر، ولكن بعد يوم واحد وافق هتلر على خطط الأنسحاب. وروميل لم يكن ليفهم، أن شمال أفريقيا بالنسبة لهتلر لم تكن سوى ساحة حرب ثانوية (جانبية) وبالنسبة لألمانيا فالحرب هي فقط في الجبهة الشرقية، وبالتالي فالموارد مخصصة لتلك الجبهة فقط..

بعد الهزيمة في العلمين، لم تعد مسألة إنهاء الفيلق الأفريقي بالنسبة للحلفاء، سوى مسألة وقت، لذلك عمد هتلر من أجل الإبقاء على الهالة التي تحيط بأسم روميل كقائد لا يهزم، إلى سحبه في مارس / آذار / 1943من قيادة الفيلق الأفريقي، بعدها بشهرين فقط (في شهر أيار / ماي) أستسلم ما تبقى من الفيلق الأفريقي إلى الأسر.

بعد هذه الأحداث غدا روميل رجلاً مريضاً مصدوماً مصاب بالأكتئاب، والهزيمة تركت عليه آثارها، ولكن هتلر لم يترك قائده المفضل، فأعاد تعينه بمنصب قائد قوات المنطقة (B) قي شمال إيطاليا. وعلى هذا النحو جرى نقل مئات الألوف من الجنود الإيطاليين المنزوعي السلاح، إلى ألمانيا خلافاً لأتفاقية جنيف، للعمل كعمال سخرة في مجالات الإنتاج الحربي.

في نهاية عام 1943، أرسل روميل إلى فرنسا، وفي مطلع حزيران 1944 ابتدأت العمليات التي طال انتظارها، عمليات الإنزال التي أطلق عليها (Overlord) وكانت

قوات المظلات الأمريكية والبريطانية قد قامت بالإنزال من الجو في التورماندي ومناطق أخرى، وكان رومل وقتئذ في منزله في هيرلينغن يحتفل مع زوجته بعيد ميلادها.

وبعد خمسة أيام من الإنزال الذي يطلق عليه العسكريون (D- Day) تمكن خلالها الحلفاء من مواصلة تعزيز وتطوير رأس الجسر، حيث أنزلوا قواتهم، أصبح روميل على قناعة، أن الحرب لم يعد بالإمكان كسبها، وعبر في محيط من الأصدقاء والزملاء، " الآن ... يمكن فقط المحاولة عقد الهدنة والسلم مع الأمريكان والإنكليز من أجل مواصلة القتال ضد السوفيت ".

بعد عشرة أيام من الغزو، وفي 16 / تموز ـ يوليه / 1944، جاء هتلر إلى فرنسا وأستمع إلى مفردات الموقف من المشير غيرد فون رونشتيد قائد الجبهة الغربية، والمشير روميل، وزمجر هتلر بالحضور : " هنا لا عمليات ولا مفر ولا تملص هنا ينبغي الوقوف والصمود، أو الموت "، رافضاً فكرة التفاوض، وطالبهم بإبداء المقاومة الصلبة (شرسة). وعند وداعه سأل روميل " يا زعيمي، كيف ترى امكانيات مواصلة الحرب ؟

وهتلر الذي لم يكن مرتاحاً للسؤال أجابه " هذا السؤال ليس من بين واجباتك، هذا الأمر أتركه لي ".

روميل كان يتمنى لو يستقيل هتلر ويترك الأمر، والقيام بعملية أغتيال للرجل الذي يكن له بالشكر، لم يكن روميل ليوافق على القيام بعملية اغتيال ضد هتلر، وهو الذي يكن له بالعرفان، وفي أمسية 17 / تموز ـ يوليه / 1944 هاجمت طائرتان بريطانيتان من طراز " سبتفاير" تحلقان على أنخفاض واطئ، تعرضت المركبة العسكرية التي كان روميل يستقلها في منطقة النورمندي وقصفتها، وقذفت به خارج العربة وأرتطدم رأسه بأسفلت الطريق وتسببت الحادثة بكسر في الجمجمة، بعدها بسبعة أيام كتب إلى زوجته قائلاً " بالنسبة للحادثة التي وقعت لي، أثرت بي محاولة أغتيال الزعيم بقوة، على المرء أن يشكر الله انها مضت بسلام ".

من خلال إفادات المتآمرين في مؤامرة 20 / تموز ـ يوليه / 1944، أنه كان قد أجرى أتصالات معهم، لذلك دخل في دائرة الاشتباه، بأن له مساهمة (أي كان حجمها)في محاولة الانقلاب. وبعد أن عزل روميل عن منصبه، وفي 14 / تشرين الأول / 1944وصل إلى بيته هيرليغن الفريق فيلهام بورغدورف رئيس دائرة ذاتية الضباط. الذي طرح عليه خياران : إما المثول أمام المحكة الخاصة بالمتآمرين، أو الانتحار الذي سيعلن على أنه نتيجة للحادث الذي تعرض له.

" لقد أحببت القائد ولا أزال أحبه ".

قال روميل في كلمات وداعه لزوجته، ثم مضى مع الفريق القادم، في عربته، حيث عض على كبسولة سم السيانيد.

في الجنازة الرسمية التي أقيمت يوم يوم 18 أكتوبر 1944، حل المشير غيرد فون رونتشتيت في تمثيل هتلر في قاعة مدينة أولم، وردت في مديح وزارة الدعاية، وألقى كلمة تأبين كتبت في وزارة الدعاية. قيل فيها : " ان روميل كان وفياً للروح النازية، التي شكلت مصدر القوة وأساس أفعاله ". وأنهى المشير رونشتيد خطابه بالقول " وقلبه يعود للزعيم " "من روح النازي"، "والتي شكلت مصدر السلطة وأساس أفعاله." Rundstedt اختتم حديثه بالقول: "قلبه ينتمي للزعيم."

وهنا قال رغم كل الأكاذيب كلمة واحدة جوهرها صحيح.

المصادر :

1. بيرتولد زيفالد في قناة آ 24

2. ميشيل زونتهايمر (Michael Sontheimer)11.06.2010